الباب الثانى

الإباضيـــة

المبحث الأول

الإباضية

تعد الاباضية من أقرب الفرق إلى الجماعة الاسلامية لاعتدال مذهبهم وتسامحهم مع مخالفيهم . لكنهم يغضبون ممن يعتبرهم فرقة من فرق الخوارج .

وسبب إلصاق تهمة الإباضية بالخوارج سياسة الدولة الأموية فى التشنيع على الإباضية حتى ينفروا الناس من أصحاب المذهب الإباضى الذين وجدوا منهم الصلابة فى مواقفهم ضد الدولة الأموية "وتقبل كثير من المتعصبين والعامة أيضاً هذا الإلصاق ، فأثبتوه فى كتبهم ... بدون تمحص أو بحث عن الحقيقة" (١) .

ولعل أبرز سبب لاتهام الإباضية بأنهم خوارج إنكارهم التحكيم . والحقيقة أن بعض كتاب المقالات والفرق الإسلامية كانوا فى حكمهم على الإباضية قساة غير موضوعيين "ويبدو أن كتاب المقالات نظروا إلى جميع ما ينسب إلى الخوارج - بحق أو بباطل - فنسبوه إلى الإباضية .

ومن الأمثلة على ذلك ما يلى :

١ - ينكرون الإجماع . ٢ - ينكرون الرجم . ٣ - ينكرون عذاب القبر .

والإباضية لا ينكرون الإجماع بل يرونه الأصل الثالث من أصل التشريع ولا ينكرون الرجم ، وإنما يقولون إنه ثبت بالسُّنّة القولية والعملية وليس بقرآن منسوخ ويثبتون عذاب القبر وسؤال الملكين استنادا إلى أحاديث كثيرة تثبت فى الموضوع" (٢) .

وإننى أميل بشدة إلى رأى الدكتور عوض خليفات الذى يؤكد من خلاله على أن الإباضية ليسوا من الخوارج لأن الإباضية "حرموا قتل الموحدين واستحلال دمائهم وحرموا استعراض الناس وامتحانهم كما فعل متطرفوا الخوارج مثل الأزارقة والنجدية ... أما ما

---

(١) الأدلة المرضية فى دحض ما نسب إلى الإباضية تأليف بدر الدين هلال حمود اليحمدى الإباضى ص ٣٢ طبعة مطابع النهضة بمسقط ١٩٨٨ .

(٢) الإباضية . على يحيى معمر الإباضى - المطبعة العربية غرداية الجزائر ١٩٨٥ .

تلصقه بهم بعض المصادر من تهم فإنما هو ناتج عن أحد أمرين : الجهل أو التعصب" [١] .

إن الإباضية يبرءون من أفعال الخوارج فكيف ينسبون إليهم وقد كانوا من أشد الناس عليهم ...

ويقول أحد علماء الإباضية وهو أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى [٢] "وزلة الخوارج نافع بن الأزرق [٣] ونويه حين تأولوا قول الله تعالى "وان أطعتموهم إنكم لمشركون" [٤] .

فاثبتوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصى ما أتوا ولو أصغرها . وأما المارقة فقد زعموا أن من عصى الله تعالى ولو فى صغير من الذنوب أو كبير أشرك بالله العظيم . وتأولوا قول الله عز وجل "وان أطعتموهم انكم لمشركون" . فقضوا بالاسم على جميع من عصى الله عز وجل انه مشرك ، وعقبوا بالأحكام ، فاستحلوا قتل الرجال ، وأخذ الأموال والسبى للعيال ، فحسبهم قول رسول الله ﷺ "إن ناسا من أمتى يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فتنظر فى النصل [٥] ، وتنظر فى القدح [٦] فلا ترى شيئاً وتتمارى فى الفوق" [٧] ... فليس فى أمة محمد ﷺ أشبه شىء بهذه الرواية منهم لأنهم عكسوا الشريعة ، قلبوها ظهراً لبطن ، وبدلوا الأسماء والأحكام ، لأن المسلمين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يعصون ولا تجرى عليهم أحكام المشركين ، فليت شعرى فيمن نزلت الحدود فى المسلمين أو فى المشركين ، فأبطلوا الرجم والجلد والقطع كأنهم ليسوا من أمة أحمد عليه السلام [٨] .

---

(١) الأصول التاريخية للفرقة الإباضية للدكتور عوض خليفات ص ٥٣ نشر وزارة التراث والثقافة عمان – ١٩٨٢ .

(٢) توفى الورجلانى حوالي عام ٥٧٠ هجرية وهو من المفكرين الإباضيين من ذوى الاتجاه العقلانى وأهم مؤلفاته كتاب العدل والإنصاف فى ثلاثة أجزاء والدليل لأهل العقول فى ثلاثة أجزاء ، وترتيب مسند الربيع بن حبيب البصرى .

(٣) زعيم فرقة الأزارقة من فرق الخوارج وقد عاصر عبد الملك بن مروان وتوفى فى عهده .

(٤) آية ١٣ – سورة الأنعام .

(٥) النصل : حديدة السهم .

(٦) القدح : السهم قبل أن يتصل ويراش .

(٧) الفوق : رأس السهم الذى يوضع فيه الوتر .

(٨) دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية ص ٣٨ تأليف بكير بن سعيد اعوشت الإباضى الطبعة الأولى ١٩٨٢ مطبعة البعث قسنطينة الجزائر .

من ذلك كله يتضح لنا أن الإباضية كانوا أشداء على الخوارج فكيف نعتبرهم منهم وهم لم يتفقوا معهم إلا فى مسألة عدم قبول التحكيم ورفض مبدأ القرشية فى إمامة المسلمين . (١)

والمعروف أن أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أقر بنفسه بأن التحكيم كان خدعة .

والحقيقة أن هناك مواقف ومفارقات تؤكد الفرق بين الإباضية والخوارج يوضحها الشيخ أبى اسحق ابراهيم اطفيش الإباضى (٢) فى كتيبه "الفرق بين الإباضية والخوارج ... ومن هذه المواقف والمفارقات : (٣)

أولا : قتال القائد الشهير المهلب بن أبى صفرة الأزدى العمانى للخوارج : والمهلب وإن كان مواليا للأمويين – وهو بالطبع عمل لم يرضه الإباضية – فإن من الثابت تاريخياً أن أسرة آل المهلب كانوا إباضية ، وكانوا على اتصال وثيق بالإمام جابر بن زيد الأزدى رضى الله عنه ، ولم يبذل المهلب فى قتال الخوارج والقضاء عليهم إلا لعلمه بعدم العلاقة بينهم وبين الإباضية .

ثانيا : كان المحدث الحجة الربيع بن حبيب الفراهيدى الإباضى صاحب المسند الصحيح يبرأ من الخوارج .

ثالثا : قتال الإمام الجلندى بن مسعود العمانى الإباضى لشيبان الخارجى (وهو من الصفرية من فرق الخوارج) عندما قدم فى جيش إلى عمان هارباً من السفاح – الحاكم العباسى – ودارت معركة بين الإمام الجلندى وبين شيبان وأصحابه ، وأسفرت المعركة عن مقتل شيبان وجنوده .

---

(١) القرشية : أى ضرورة أن يكون الحاكم قرشيا .

(٢) من أعلام الإباضية فى العصر الحديث (ت ١٩٦٥) وكان يعمل بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ومن مؤلفاته : "الدعاية إلى سبيل المؤمنين" ، "الفرق بين الإباضية والخوارج" الذى قدم له الشيخ أحمد بن مسعود الشيبانى العمانى .

(٣) الفرق بين الإباضية والخوارج للشيخ أبى اسحق ابراهيم اطفيش المقدمة وكتاب الأدلة المرضية فى دحض ما نسب إلى الإباضية ص ٣٥ : ٣٦ .

رابعاً : كان البطل المغوار هلال بن عطية الخراساني الذى صار القائد الأول فى جيش الإمام الجلندى بن مسعود كان على مذهب الصفرية الخوارج . ثم اعتنق المذهب الإباضى . ولم يقبل أئمة الإباضية الانضمام إليهم إلا بعد أن يرجع إلى الذين دعاهم إلى مبادىء الخوارج ويعلمهم ببطلان تلك المبادىء والآراء التى دعاهم إليها ، ثم عاد إلى عمان فكان قائدا ووزيرا للإمام الجلندى بن مسعود .

خامسا : إن الإباضية لم يسلوا السيف على أحد من أهل التوحيد قط ولم تقع منهم حرب ضد أحد من المسلمين ، وإنما كانت مواقفهم أغلبها دفاعية ، أى بقصد دفع الضرر عن أنفسهم تجاه أى عدوان يواجههم ، فهم لم يبدأوابقتال قط كما فعل الخوارج .

سادساً : الإباضية يجيزون المناكحة بينهم وبين سائر الموحدين ، والخوارج لا يجيزون التناكح مع غيرهم لأنهم يرون سواهم مشركين ، وعلى هذا لا يجوز التوارث – أيضاً – بينهم وبين من يخالفهم بطبيعة الحال ، لأن الشرك الذى منع المناكحة والمصاهرة يمنع الوارثة .

سابعاً : الإباضية اتجهوا إلى خدمة الإسلام علما وعملا منذ ابتدأت الفتنة فاشتغلوا بالتدوين فكانوا أول من دون الحديث فجابر بن زيد أول من دون الحديث وأقوال الصحابة فى ديوانه الذى وصفه بأنه وقر بعير : ... ولم يُذْكَرْ أحد من الخوارج ألف كتابا ، والذين يذكرون المؤلفات للخوارج إنما يذكرون الإباضية وهم دون شك يريدون بهم التشنيع والتشغيب .

ثامنا : إن الخوارج حكموا على مرتكبى الكبائر من المسلمين بالشرك بينما الإباضية يفرقون بين معانى الكفر فهناك كفر شرك وجحود وهناك كفر نعمة ، وهم يطلقون على مرتكبى الكبائر من المسلمين كفار نعمة لا كفار شرك ، حتى وإن كان مرتكب الكبيرة إباضياً وهذا يطابق ما عند أهل الحديث الذين يطلقون عليه كفر دون كفر وعند الفقهاء الأربعة كبائر فسق .

هذه الفروق المختلفة تجبرنا على الفصل بين الإباضية والخوارج ولا نعتبرهم من فرق الخوارج .

إن العدل والنزاهة العلمية والموضوعية تقودنا قوْداً إلى هذه الرواية النزيهة عن الهوى وإنكار الحق الواضح يقول تعالى "ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى "٨ – سورة المائدة" .

ها هم نفر من زعماء الإباضية الربيع بن حبيب وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة وضمام بن السائب يقولون فى الخوارج : "ترى ما داموا على قولهم هذا فخطوهم محمول عليهم فإذا تجاوزوه إلى الفعل حكمنا بكفرهم" (١) .

ولما تجاوز الخوارج قولهم إلى الفعل حكم عليهم الإباضية بالضلال والكفر .

وقال عبد الله بن إباض فى رسالته إلى عبد الملك بن مروان "أنا براء إلى الله من ابن الأزرق (زعيم الأزارقة من فرق الخوارج) وصنيعه وأتباعه . لقد كان حين خرج ، على الإسلام فيما ظهر لنا ، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم" (٢)

وقد كان الإمام عبد الله بن أباض شديداً إزاء آراء الأزارقة ... وحتى يتضح لنا الفرق بين الأزارقة والإباضية حرى "بنا القاء الضوء على الأزارقة وأهم آرائهم الكلامية والفقهية .

والأزارقة هم أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى المكنى بأبى راشد (٣) وهو من

---

(١) أصدق المناهج فى تمييز الإباضية من الخوارج : سالم بن حمود السيابى تحقيق د. سيدة اسماعيل الكاشف ، مطابع سجل العرب ١٩٧٩ نشر وزارة التراث القومى والثقافة عمان .

(٢) من رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان .

(٣) بايع الأزارقة نافع وسموه أمير المؤمنين . وصاروا أكثر من عشرين ألفا خرج بهم بالبصرة عام خمس وستين واستولوا على الأهواز وما وراءها من أراض فارس وكرمان . وكان مع نافع من أمراء الخوارج عطية بن الأسود الحنفى ، وعبد الله بن مأحوز التميمى وأخواه عثمان والزبير وعمر بن عمير العنبرى وقطرى بن الفجاءة المازنى وعبيدة بن هلال اليشكرى وأخوه محرز بن هلال وصخر بن حبنا التميمى وصالح بن مخراق العبدى وعبد ربه الصغير .

وكان عامل البصرة حينئذ عبد الله بن الحرث الخزاعى . فأخرج عبد الله بن الحرث جيشا مع مسلم بن عيسى بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة ، فاقتتلوا بدولاب الأهواز ، فقتل مسلم وأكثر أصحابه .

فخرج إليهم من البصرة عثمان بن عبيد الله بن معمر التميمى فى ألفى فارس ، فهزمته الأزارقة فخرج إليهم حارثة بن بدر الغدانى فى ثلاثة آلاف من جند البصرة فهزمتهم الأزارقة ، وكان المهلب بن أبى =

أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى .

ولما قتل نافع بن الأزرق أمرت الخوارج عليهم عبد الله بن ماحوز التميمى [١] ، واشتد قتالهم . ولما قتل عبيد الله ماحوز أمر الأزارقةعليهم قطرى بن الفجاءة [٢] الذى حاربه المهلب بن أبى صفرة حرباً شديدة حتى قتله ، وكان مما حاربهم به المهلب اختلاق الأحاديث عليهم ووضعها "فقد كان يضع الحديث ليشد به أزر قومه ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتد ويقول أن الحرب خدعة ، وكان حى من الأزد إذا رأوا المهلب خارجاً قالوا "راح يكذب" وفيه يقول رجل منهم :

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول [٣]

= صفرة يومئذ بخراسان فكلف بحرب الأزارقة فرجع المهلب إلى البصرة وانتخب من جندها عشرة آلاف وانضم إليه قوم من الأزد . فصار فى عشرين ألفا وخرج وقاتل الأزارقةوهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز ومات نافع بن الأزرق فى تلك الهزيمة . مختصر المقالات ص ٧٣ .

(١) بايعت الأزارقة عبيد الله بن ماحوز التميمى بعد مقتل نافع وقاتلهم بعد ذلك بالأهواز ، فقتل عبيد الله بن ماحوز وقتل أيضاً أخوه عثمان مع ثلاثمائة من أشداء الأزارقة ، وانهزم الباقون .

(٢) بعد مقتل ابن ماحوز بايع الأزارقة قطرى بن الفجاءة وسموه أمير المؤمنين وقد قاتلهم المهلب قتالا عنيفاً وانهزمت الأزارقة الى سابور قرب شيراز من أرض فارس وجعلوها دار هجرتهم وثبت المهلب وبنوه على قتالهم تسع عشرة سنة ، بعضها فى أيام ابن الزبير وباقيها فى خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق .

وقرر الحجاج المهلب على حرب الأزارقة وجعل له خراج فارس وكرمان إلى أن يفرغ من أمر الأزارقة ، فدامت الحرب بين المهلب والأزارقة كرا وفرا بين فارس والاهواز إلى أن وقع الخلاف بين الأزراقة ففارق عبد ربه الكبير قطرياً فى سبعة آلاف رجل وفارق عبد ربه الصغير فى أربعة آلاف ، وصار كل واحد منهما فى ناحية من نواحى كرمان . وبقى قطرى فى بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس . وقاتله المهلب بها . وهزمه إلى ارض كرمان وتبعه وقاتله بأرض كرمان إلى أن هزمه إلى الرى ثم قاتل عبد ربه الكبير فقتله ، وبعث بابنه يزيد بن المهلب إلى عبد ربه الصغير فأتى عليه وعلى أصحابه .

وبعث الحجاج بسفيان بن الأبرد الكلبى فى جيش كثير إلى قطرى بعد أن انحاز من الرى إلى طبرستان فقتلوه بها وانفذوا برأسه إلى الحجاج وكان عبيدة بن هلال اليشكيرى الخارجى قد فارق قطريا وانحاز إلى منطقة تسمى "قومس" (فى ذيل طبرستان) . فتبعه سفيان بن الأبرد هناك فقتله وقتل أصحابه وخلص الأرض من الأزارقة . المرجع السابق ٧٥ / ٧٦ .

(٣) ص ٣١٣ فخر الإسلام أحمد أمين . ويقول الأستاذ أحمد أمين ولعل هذ وأمثاله هو السر فيما ترى من أحاديث كثيرة ملئت بها كتب التاريخ والأدب فى ذم الخوارج .

الأزارقة وآراءهم الكلامية والفقهية

يقال أن أول من أحدث الخلاف بين الخوارج هو نافع بن الأزرق الحنفي ويقال أن سبب الخلاف الذى أحدث نافع [١] "ان امرأة من أهل اليمن عربية ترى رأى الخوارج ، تزوجت رجلا من الموالى على رأيها ، فقال لها أهل بيتها : فضحتنا ، فأنكرت ذلك ، فلما أتى زوجها قالت له : إن أهل بيتى وبنى عمى قد بلغهم أمرى ، وقد عيرونى وأنا خائفة أن أكره على تزويج بعضهم ، فاختر منى إحدى ثلاث خصال إما أن تهاجر إلى عسكر نافع حتى تكون مع المسلمين فى حوزهم ودارهم وإما أن تخبأنى حيث شئت ، وإما أن تخلى سبيلى ، فخلى سبيلها ، ثم أن أهل بيتها استكرهوها فزوجوها ابن عم لها لم يكن على رأيها فكتب ممن بحضرتها بأمرها إلى نافع بن الأزرق يسألونه عن ذلك فقال رجل منهم : إنها لم يسعها ما صنعت ولا وسع زوجها ما صنع ، من قبل هجرتهما ، لأنه كان ينبغى لهما أن يلحقا بنا لأنا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة ، ولا يسع أحد من المسلمين التخلف عنا ، كما لم يسع التخلف عنهم ، فتابعه على قوله ذلك نافع بن الأزرق وأهل عسكره إلا نفرا يسيرا ، وبرئوا من أهل التقية ، وأحدثوا أشياء .

وقد أقام نافع بن الأزرق بموضعه من "الأهواز" واستتب له الأمر هناك . ويوماً ما جاءه مولى لبنى هاشم قال لنافع : "إن أطفال المشركين فى النار ، وإن من خالفنا يا نافع مشرك ، فدماء هؤلاء الأطفال المشركين لنا حلال ، قال له نافع : كفرت وأدللت على نفسك : قال له : إن لم أتك يا نافع بهذا من كتاب الله فاقتلنى (قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) [٢] .

فهذا أمر الكافرين ، وأمر أطفالهم فشهد نافع أنهم جميعاً فى النار ورأى قتلهم ، ولهذا فإن الأزارقة من أهم آرائهم المعروفة أن – أطفال مخالفيهم مخلدون فى النار ، أى "أن الذنب الذى أوجب كفر مخالفيهم يسرى إلى أولادهم ، مع أن أولادهم لم يرتكبوه ، ولكنه انحراف فكرى من أصحابهم" [٣] .

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعرى جـ ١ ص ١٦١ و ص ١٦٢ .
(٢) الكامل للمبرد (جـ ٥ ص ١٤٧ باختصار وتصرف) .
(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أو زهرة جـ ١ ص ٨١ .

وقد قال نافع إن الدار دار كفر (يقصد دار مخالفيهم) إلا من أظهر إيمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا توارثهم ، ومن جاء منهم فعلينا أن نمتحنه ، وهم ككفار العرب لا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف والقعد [١] بمنزلتهم والتقية لا تحل [٢] .

ولما خرج عليه نجدة جرى بين نافع بن الأزرق ونجدة جدال طويل ، وكتب نافع إلي نجدة يقول "أما هؤلاء القعد [٣] فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلاً ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قد فقهوا في الدين وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قاله الله عز وجل فيمن كان مثلهم ، إذ قالوا : (كنا مستضعفين في الأرض) فقيل لهم : (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقال : (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) وقال (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) فخبر بتعذيرهم وانهم كذبوا إليه ورسوله وقال (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) فانظر إلى أسمائهم وسماتهم .

وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة مني ومنك ، فقال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) فسماهم بالكفر وهم أطفال قبل أن يولدوا ... فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نكون نقوله في قومنا ؟ والله يقول : (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر) ، وهؤلاء كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام ، وأما استحلال أمانات من خالفنا ، فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم" [٤] ومن ذلك نلاحظ أن الأزارقة "استحلوا خفر الأمانة التي أمر الله سبحانه بأدائها وقالوا : قوم مشركون لا ينبغي أن تؤدى الأمانة إليهم" .

ومن آرائهم الفقهية أنهم ينكرون رجم الزاني ، فإنهم لا يقرون حد الرجم . ويسقطون

---

(١) أي الذي لا يمضون إلى القتال .

(٢) يرى الأزارقة أن التقية لا تجوز مطلقاً لا بالقول ولا بالعمل .

(٣) الأزارقة يرون أن القعدة عن الهجرة إليهم مشركون حتى وإن كانوا على رأيهم بل أكثر من ذلك فإنهم يرون ضرورة امتحان من يريد الانتماء إليهم قبل قبوله ، وذلك بأن يجسر على قتل أسير من مخالفيهم يقدمونه إليه ، كما يستبيحون قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم .

(٤) الكامل للمبرد جزء ٢ ص ١٧٨ .

حد الرجم عن الزانى المحصن ، حيث أن حد الرجم لم يذكر فى القرآن .

وأيضاً فإن الأزارقة أسقطوا الحد عمن يقذف الرجال بخلاف من يقذف النساء حيث أن حد الأول لم يذكر فى القرآن بخلاف الثانى ومعنى ذلك أنهم أخذوا بظاهر النص القرآنى الشريف (والذين يرمون المحصنات ، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون) ، فلم يذكر حد لقذف المحصنين من الرجال فى ظاهر للنص الشريف .

وكما أشرنا من قبل فإن الأزارقة كفروا جميع المسلمين ما عداهم وقال نافع بن الأزرق إنه لا يحل لأصحابه المؤمنين أن يجيبوا - أحدا من غيرهم إلى الصلاة إذا دعاهم إليها ، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ، ولا أن يتزوجوا منهم ، ولا يتوارث الخارجى وغيره .

ومن مبادىء الأزارقة أنهم يقولون : إن علياً "كرم الله وجهه" كافر (١) وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فى شأنه (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قبله وهو ألد الخصام) .

وإن قاتل "على" "عبد الرحمن بن ملجم" كان على حق فى رأيهم وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فى شأنه (ومن الناس من يَشْرِى نفسه ابتغاء مرضاة الله) ثم كفر الأزارقة عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن العباس رضى الله عنهم ثم سائر من خالفهم من المسلمين كما ذكرنا .

ومن مبادئهم أيضاً قولهم إنه يجوز على الأنبياء أن يرتكبوا الكبائر والصغائر ، وكما يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله [٢] "وإن ذلك بلا ريب من المتناقضات فى أقوالهم ، إذ أنهم بينما يكفرون مرتكب الكبيرة يجوزونها على الأنبياء فالنبى قد يكفر ثم يتوب ، وذلك أخذوه من ظاهر قول الله تعالى : (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)" .

---

(١) الذى يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها : إكفار الإمام على ، وسيدنا عثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين ، والإكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج على الحاكم الجائر

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٨١ .

والحق أن أخذهم كثيراً بظاهر النص جعلهم - غالباً - لا يدركون حقيقة جوهر النص ومراميه . ولو أنهم راعوا أسباب تنزيل الآيات وعرفوا المحكم والمتشابه ، وأسرار اللغة العربية ما وقعوا أبداً فيما وقعوا فيه لحماسهم الفكرى وعنادهم العجيب .

من هذا العرض للأزارقة وآرئهم الكلامية والفقية يتبين لنا أن الإباضية لا يكاد يجمعهم بالخوارج سوى إنكار التحكيم . لأن الاباضية حرموا قتل الموحدين واستحلال دمائهم ، وحرموا استعراض الناس وامتحانهم . وما اتهمهم به بعض الكتاب من تهمة انتسابهم للخوارج فيه حيف كبير وظلم لهم يقول حسن السندوبى فيما نقله عنه سالم بن حمود بن شامس السيابى الإباضى "المذهب الإباضى وأهل هذا المذهب من أفاضل أهل القبلة وممن ينفرون من البدع التى ليست من الدين فى شىء ... وكنت خدعت بقول خصوم الإباضية فيهم فرددت مجمل ما يتهمونهم به ، ثم تبين لى اليقين فيهم فعلمت أنهم من خيار المسلمين ، وممن يرجعون فى كل أمورهم من عبادة ومعاملة إلى الكتاب والسنة" (١) .

ويكفى حكم الإباضية على الخوارج فقد كان من أقسى الأحكام عليهم لقول أئمة الإباضية الربيع بن حبيب وأبو عبيده مسلم بن أبى كريمة وضمام بن السائد فى الخوارج" يرى مادامو على قولهم هذا فخطوهم محمول عليهم ، فإذا تجاوزوه إلى الحكم حكمنا بكفرهم" (٢) .

ولما تجاوزوا القول إلى الفعل تبرأوا منهم ومن أفعالهم وأقوالهم . وقال عبد الله بن إباض فى رسالته الشهيرة إلى الخليفة الأموى عبد الله بن مروان "إنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه . لقد كان حين خرج ، على الإسلام فيما ظهر لنا ، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم" (٣) .

---

(١) سالم السيابى العمانى ، طلقات المعهد الرياضى في حلقات المذهب الإباضى . ص ٨٣ ، ٨٤ طبعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ .

(٢) سالم السيابى : أصدق المنافح فى تمييز الإباضية من الخوارج ص ٢٣ تحقيق د. سيده اسماعيل الكاشف ، مطابع سجل العرب بالقاهرة ١٩٧٩ ، نشر وزارة التراث القومي والثقافية بعمان .

(٣) انظر نص رسالة بالملحق .

المبحث الثانى

فرق المذهب الإباضى

ينضوى تحت المذهب الإباضى عدد من الفرق هى عند الإباضية أنفسهم ست فرق : النكارية ، والخلفية ، والحسينية والعمرية ، والسكاكية والفرثية .

ويضيف أصحاب المقالات إلى هذه الفرق فرقاً أخرى لا يعتبرها الإباضية أنفسهم من فرقهم .

فأبو الحسن الأشعرى فى كتابه مقالات الإسلاميين يذكر لهم فرقة تسمى "طاعة لا يراد الله بها" (١) .

ويضيف ابن حزم فى الفصل فى الملل والنحل فرقة "اليزيدية" التى ينكرها الإباضية إنكاراً تاماً .

والبغدادى يذكر من فرقهم فرقة تقال لها "الحارثية" (٢) لا يعترف الإباضية بها . ويذكر كذلك من فرقهم "الحفصية" (٣) .

وينكر ذلك الإباضية . ويؤكدون على أن كتاب المقالات أرادوا – الإساءة إليهم بدافع التعصب المذهبى .

---

(١) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ١٨٥ لأبى الحسن الأشعري ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ط ٢ سنة ١٩٦٩ م . نشر مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٠٥ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط . المدنى / القاهرة .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٤ .

أهـم الفرق الإباضيـة :

١ - النـكارية :

ظهرت فرقة النكارية فى منطقة المغرب العربى فى ظل الدولة الرستمية الإباضية . ففى عام ١٧١ هـ حدث أن الإمام عبد الرحمن بن رستم إمام الدعوة الإباضية فى بلاد المغرب أحس بقرب أجله فدعى إلى ترك الأمر شورى بين سبعة من زعماء الإباضية من بينهم ابنه عبد الوهاب بن رستم خليفة لأبيه فى إمامة الدعوة الإباضية فى بلاد المغرب .

وكان ابن فندين يرى أنه أحق بالزعامة من ابن رستم ويعتقد أنه أكثر كفاءة وقدرة وعلماً من عبد الوهاب بن رستم . ولهذا بايعه على مضض وقال بتردد نبايع عبد الوهاب على ألا يقضى أمراً دون مشورة هيئة مخصوصة من الناس .

فأجابه حينئذ أحد أئمة الإباضية واسمه مسعود الأندلسى : نحن لا نعلم فى الإمامة شرطا غير أن يحكم فينا بكتاب الله وسيرة السلف الصالحين . وهكذا تمت البيعة باختيار عبد الوهاب بن رستم إماماً للإباضية فى بلاد المغرب .

لكن ابن فندين مع نفر من أصحابه أنكروا إمامة ابن رستم فسموا بالنكار وزعماء الفرقة بالإضافة إلى أبو قدامة بن فندين ، وعبد الله بن يزيد الفزارى ، وعبد الله بن عبد العزيز ، وأبو المؤرج عمرو بن محمد السدوسى ، وشعيب بن المعرف ، وحاتم بن منصور .

والإباضية يطلقون على هذه الفرقة عدة أسماء منها "النكاث" لأنهم نكثوا البيعة بغير حدث ، و"النجوية" لأنهم كانوا يجتمعون ويتناجون بالإثم والعدوان ، و"الشغبية" لأنهم أدخلوا بذلك شغباً فى الدعوة الإباضية و"الملحدة" لأنهم ألحدوا فى الأسماء والأحكام . (١)

وحيث أن ابن فندين كان ينظر إلى نفسه نظرة نرجسية خاصة ويعتقد اعتقادا كبيراً فى مواهبه وكفاءته . وكان يظن أن ابن رستم سيرجع إليه فى كل الأمور أو يسند إليه أهم الأعمال والمسائل ولكنه فوجىء بأنه ليس محل ثقة الداعية فهاله ذلك وأعظم هذا الأمر فى

---

(١) طبقات المشائخ بالمغرب لأبى العباس أحمد بن سعيد الدرجينى جـ ١ ص ٥١ تحقيق ابراهيم طلاى طبعة مطبعة البعث قسنطينة الجزائر ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م .

نفسه فأثار زوبعة وشغباً وأشعل نزاعاً وفتنة بزعمه أن الإمامة باطلة على شرطه فإنه قد بايع ابن رستم فى ظنه على ألا يقضى فى شىء دون مشورة جماعة مخصوصة من الناس وهى حجة أبطلها من قبل مسعود الأندلسى ووقع الخلاف بين الجماعة الإباضية فى المغرب فاقترح مقترحون منهم بأن ترسل رسائل استفتاء إلى أئمة الإباضية فى المشرق الإسلامى (عمان والبصرة) "فأرسل إليهم الفقيه الإباضى الربيع بن حبيب صاحب "الجامع الصحيح" بأن الإمامة صحيحة والشرط باطل وأنه يجوز تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أفقه منه" (١) .

ولم يرض ابن فندين بحكم فقهاء الإباضية وأثارها حربا ضروسا ضد ابن رستم "استعان على إضرامها بوسائل دينية استغفل فيها فريقاً كبيراً من العامة واستخفهم ، ... وما توفق الإمام إلى القضاء عليها إلا بعد سفك دماء غزيرة ، وكان عدد ضحايا هذه الفتنة لا يقل عن عشرين ألفاً من الطرفين من بينهم رأس الفتنة يزيد بن فندين" (٢)

وتعتمد حركة ابن فندين على مبدأين أساسيين هما :

- انه لا تصح إمامة المفضول مع وجود الفاضل

- وأنه تصح الإمامة بشروط إذا شرطها الناس عند البيعة وتسقط لمخالفة هذه الشروط .

ولأن فرقة النكارية كانت تميل إلى العنف والمغالاة فى آرائها فإنها لم تدم طويلاً وإن كان بعض المؤمنين بأفكارها حاولوا بعثها من جديدة خلال القرن الثالث الهجرى مثل عبد الله بن يزيد الفزارى وأبو يزيد مخلد بن كيداد اليعزنى الذى دعى إلى الخروج على الدولة العبيدية وزاد على آراء النكارية ومقالاتهم آراء يخالف بعضها أصول الإسلام ومبادئه وهذه الآراء تتعارض كثيراً مع مبادىء وأصول الأباضية .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢) مختصر تاريخ الإباضية ، تأليف أبو ربيع سليمان بن عبد الله البارونى ص ٣٤ ط ثالثة ، مطابع العالمية ، روى ، سلطنة عمان ١ .

وقد ذكر أبو عمر عثمان بن خليفة السوفى المارغنى الإباضى لفرقة النكارية [١] نحوا من عشرين مقالة بين أصول وفروع تختلف فيها جميعاً عن الإباضية منها أربع مقالات فى مواضع سياسية نتجت عن حركتهم وهى :

١ – الإمامة غير مفترضة .

٢ – صلاة الجمعة غير جائزة وراء الأئمة الجورة .

٣ – عطايا الملوك لا يحل أخذها .

٤ – لا تجوز ولاية المفضول .

وجملة أقوالهم التى خالفوا فيها الإباضية – حسبما ذكرها ابن خليفة المارغنى كما يأتى :

(١) ألحدوا فى الأسماء .

(٢) قالوا إن ولاية الله وعداوته تتقلب بالأحوال .

(٣) قالوا إن أسماء الله مخلوقة .

(٤) قالوا إن الإمامة غير مفترضة . [٢]

(٥) قالوا يجوز الانتقال من الولاية إلى الوقوف .

(٦) قالوا حجة الله تقوم بالسماع وقد سمع الناس .

(٧) قالوا من لم تبلغه دعوة الإسلام ودعى إلى دين سماوى آخر لا يجوز له أن يجيب

(٨) قالوا إن صلاة الجمع – غير جائزة خلف أئمة الجور [٣] .

---

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث ، تأليف على يحيى معمر ، ص ٣٠٢-٣٠٣ باختصار .

(٢) من المعلوم أن أئمة الإباضية كانوا يقولون إن الإمامة فرض كفاية على الأمة المسلمة .

(٣) أئمة الإباضية كانا يرون أن صلاة الجمعة واجبة وراء الأئمة الجورة ما أقاموها ووجدت شروطها .

(٩) عطايا الملوك لا يحل أخذها [١] .

(١٠) قالوا الله لا يأمر بالنوافل .

(١١) قالوا يلزمنا العمل بالفرائض ولا يلزمنا العلم بها ولا من معرفتها شيء .

(١٢) قالوا الحق فى قول واحد على واحد من المختلفين فى النوازل التى يسع فيها الخلاف وقد ضاق على الناس خلاف الحق .

(١٣) قالوا الحرام المجهول حلال .

(١٤) قالوا يدعى المشرك إلى جملة التوحيد ، وبراءة أحداث أهل الأهواء من أهل القبلة .

(١٥) قالوا بالوقوف فى الاطفال كلهم .

(١٦) قالوا يجوز شرب الخمر على التقية .

(١٧) قالوا لا تجوز إمامة من ولى أمر المسلمين وفى المسلمين أفضل منه .

(١٨) قالوا لا تقوم الحجة فيما يسع حتى يجتمع المسلمون بأسرهم .

(١٩) قالوا لا كفر إلا فيما تقطع عليه اليد وهو ربع دينار ومن أخذ دونه ليس عليه شيء .

(٢٠) قالوا اللطمة والنظر بشهوة والقبلة ودخول الحمام بغير إزار صغائر غير كبائر

ومن عرض هذه المبادىء يتضح لنا أن مبادى فرقة النكارية تختلف كثيراً عن مبادىء الإباضية وإن كانت تحسب على الإباضية إلا أن هذه الفرقة خرجت عن مبادىء الإباضية واستقلت بأفكارها الخاصة ، وأن كل ما كان يربطها بالإباضية هو أن ابن فندين صاحب هذه الفرقة كان يوما ما إباضيا ، ولكنه خرج عن بيعة وطاعة الإمام الإباضى عبد الوهاب

(١) كان أئمة الإباضة يقولون بجواز حل أخذ العطايا من الملوك مالم يؤد إلى حرام .

بن عبد الرحمن بن رستم وحاربه وثار عليه .

٢ – النفاثية :

مؤسس هذه الفرقة رجل يقال له فرحان نصر النفوس المعروف بنفاث وهو من قرية نفاثة القريبة من جبل نفوسة بليبيا .

وكان معروفا بذكائه ولهذا شعر بخيبة أمل حينما وجد نفسه من غير منصب إدارى أو سياسى فى الدولة الرستمية ونقم على تولية أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إمامة الإباضيين فى المغرب [١] وأخذ ينتقد أفلح ويطعنه طعناً شديداً فى مجالسه المختلفة وحقد عليه حقداً شديداً . وكان يرى أنه أحق منه فى إمامة الإباضيين ببلاد المغرب .

وأخذ نفاث ينفث انتقاداته ضد الدولة الرستمية ويجهر ضدها بدعوته ويرسل خطاباته الشديدة اللهجة إلى الإمام أفلح ، ولما أحس بخطر الإمام وانه قد يؤدى بحياته نتيجة خطر دعوته على الإباضيين فر بنفسه إلى بغداد وعاش فيها زمناً قليلاً حتى يهدأ الإمام من غضبه عليه ثم عاد ثانية إلى بلده القريبة من جبل نفوسه الليبية واختلفت آراء المؤرخين فى موقفه بعد عودته من بغداد فقال بعضهم أنه خلد إلى السكون والراحة والبعض الآخر يقول إنه ظل عند موقفه الأول من الدولة الرستمية . ونحن نميل بقوة إلى الرأى الأول لأنه لم يحدث من نفاث منذ عودته إلى بلده ما يؤثر على الدولة الرستمية .

أما الآراء التى كان يقول بها . فإن أهم هذه الآراء حسبما ذكرت المصادر الإباضية نفسها [٢] :

١ – أن الله هو الدهر فلما سئل عن ذلك قال هكذا وجدته فى الدفتر – يعنى الكتاب المسمى بهذا الإسم – وهذا الكتاب لا أساس له ولا يعرف عند الإباضية كتاب بهذا الإسم فهو مجهول غير موجود .

---

(١) توفي أفلح إمامة الإباضية فى المغرب بعد وفاة أبيه عبد الوهاب بن رستم سنة ١٩٠ هـ – ٨٠٥م .

(٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات فى القديم والحديث ص ٣٠٧ ، ومخطوطة أبو عمرو المارغنى (فرق الإباضية الست وما زاغت به عن الحق) ص ٤ .

ولعل نفاثا هذا يقصد المعنى البيانى للحديث الصحيح "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر" بمعنى أن ما تنسبونه إلى الدهر من الأحداث التى لا تعجبكم فتسبونه بسببها إنما خلقها الله تبارك وتعالى فأنتم عندما تسبون الدهر فكأنما تسبون خالقها وهو الله عز وجل .

٢ - أنكر الخطبة فى صلاة الجمعة وقال إنها بدعة . (١)

---

(١) لم يرد أنه صلى الله عليه وسلم أو أحدا من الصحابة والخلفاء الراشدين فيمن بعدهم صلى الجمعة بدون خطبة . وقد واظب رسول الله على الخطبة . وقال ابن عمر رضى الله عنهما "كان النبى يخطب الخطبتين كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم يخطب" (أخرجه السبعة إلا ابن ماجة) .

وخطبة الجمعة شرط لصحة الجمعة عند الأئمة الأربعة والجمهور . ويشترط عند المالكية والشافعية خطبتان وهو مشهور مذهب الحنابلة .

وقال الأحناف والأوزاعى واسحق بن راهويه وابن المنذر الشرط خطبة واحدة والثانية سنة . وهو رواية عن أحمد .

وقال الحسن البصرى والظاهرية وابن الماجشون المالكى : الخطبة مستحبة .

والحقيقة أن الأحاديث الصحيحة أوضحت وبينت صفة الخطبة ومواظبة الرسول عليها ، فلم يصلها بدون خطبتين والرسول يقول "صلوا كما رأيتمونى أصلى" ومن هنا فإن الخطبة شرط لصحة صلاة الجمعة وليست من المستحبات كما رأى بعض العلماء . "وكان النبى يخطب خطبتين" . فالخطبتان من شروط الصلاة وأن تكونا قبيل صلاة الجمعة مباشرة . ويشترط للخطبتين أن تشتملا على حمد الله تعالى لقول رسول الله "كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجزم" (رواه أبو داود وأحمد) والصلاة على رسول الله ، والوصية بتقوى الله ، وقراءة آية من القرآن فى إحداهما ، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات فى الخطبة الثانية خاصة لأن الدعاء بالخواتيم أفضل كما يشرع القيام للخطبتين والجلوس بينهما جلسة خفيفة .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "كان النبى يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم كما يفعلون اليوم" (رواه الجماعة) .

فالقيام فى الخطبتين مع القدرة مشروع بالاتفاق : واختلف الفقهاء فى وجوبه ، فقال مالك والشافعى : واجب ، وقال أبو حنيفة وأحمد لا جيب . وأوجب الشافعى خاصة الجلوس بين الخطبتين لقول ابن عمر رضى الله عنهما "كان النبى يخطب يوم الجمعة مرتين بينهما جلسة (رواه أحمد وابن ماجة) .

وقال الجمهور الجلوس بين الخطبتين سنة .

من ذلك كله يتضح لنا ضلال رأى نفاث الذى ينكر فيه خطبة الجمعة وقوله إنها بدعة .

انظر : مبحث صلاة الجمعة بكتاب الصلاة للمؤلف ص ٢٣٧ : ٢٣٩ .

٣ – أنكر النفاثية على الإمام استخدام عماله لجمع الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا . (١)

٤ – قال النفاثية إن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ لأب . (٢)

٥ – وقال النفاثية إن الإمام إذا لم يمنع رعيته من جور الجورة وظلمهم لا يحل له أن يأخذ الحقوق التى جعل الله عليهم لضعفه عنهم . (٣)

والحقيقة أن النفاثية ماتت بموت صاحبها . ولم يكن لها اتباع حقيقيون حتى تعيش ولأن آراء صاحبها فيها الغلو الظاهر فقد انقرضت تماماً ذلك أن الأفكار الغالية تخبو – عادة – بسرعة حين يكتشف حقيقة مبادئها . وكما اندثرت النكارية من قبل فقد اندثرت النفاثية هى الأخرى .

٣ – الخلفية :

وزعيم هذه الفرقة هو "خلف بن السمح بن أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافر" .

وكان جد خلف إماماً على ليبيا فلما مات عين ابنه السمح "واليا على جبل نفوسة وما يليها إلى ضواحى طرابلس وقابس بليبيا وتونس" (٤) وكان إمام الإباضية آنذاك هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذى كان فى نفسه شىء من تعيين عبد الأعلى لابنه قبل

---

(١) هذا رأى خاطىء فلا بد للحاكم المسلم من أن يستخدم عماله لجمع الحقوق الشرعية وإلا خلى بيت مال المسلمين من المال وضاعت حقوق فقراء المسلمين وضعف كيان الدولة الاقتصادى .

(٢) هذا رأى شاذ يقول فيه أبو عمرو المارغنى "قال المشايخ لو لم يفت نفاث إلا بهذه الفتوى لكفر بها" فرق الإباضية الست للمارغنى ص ٤ .

(٣) هذا المبدأ الذى ذكره عن نفاث مبدأ غير صحيح على الإطلاق والضلال فيه واضح كما يقول المارغنى "فضل بذلك وكذب ونقض أمر الله موجبة على الناس بجور الجائرين ، بل كل من أقر بإمامة العدل عليه دفع الحق لإمامه والزكاة وزكاة الفطر ولو لم يمنع الإمام رعيته لضعف دولته وغلبه الكفرة على رعيته فعليهم حقوقه أجمعين لأن ذلك حق الله عليهم وليس هى بأجرة ولا بجزية .

(٤) مختصر تاريخ الأباضية للبارونى ص ٣٥ .

موته دون استشارته . ولما "مات السمح قام جماعة من الناس وبايعوا ابنه" خلفا بغير إذن الإمام الإباضي [١] فاستشاط عبد الوهاب بن رستم غضباً من هذا الفعل وأمر بعزل خلف بن السمح لكن خلفا رفض أن يذعن لأمر الإمام عبد الوهاب وقال برأيه أن الجبل (يقصد جبل نفوسه) حوزة مستقلة لها إمام مستقل كما أن تاهرت (حيث يوجد الإمام) حوزة مستقلة هى الأخرى لها إمامها . [٢]

وهكذا اشتعلت نيران الحرب بين خلف وعبد الوهاب وازداد أوارها بتولية الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذى استطاع أن يهزم جيش خلف واستطاع والى جبل نفوسه من قبل أفلح وهو العباس بن أيوب أن يقضى على فلول جيش خلف قضاء تاماً وبموت خلف بن السمح قضى على "الخلفية" أيضا .

٤ – الحسينية أو العمرية :

هم اتباع رجل يقال له أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسى ولا يعرف على التحديد تاريخ مولده أو وفاته وإن كانت حياته خلال القرن الثالث الهجرى وقيل عنه إنه ألف العديد من الكتب التى لا وجود لها بين أيدينا والتى لا يعرف عنها الإباضية أى شىء .

وهذه الفرقة امتزجت مع فرقة ثانية اسمها العمرية نسبة إلى رجل اسمه عيسى بن عمير [٣] ويبدو أن أصلها كان واحدا ولكن أئمتها اختلفوا فقال بعضهم بمقالات تقترب من الإباضية وقال اخرون بمقالات تقترب من المعتزلة ولهم مقالات تبتعد عن جميع الأطراف .

وقد أورد أبو عمرو المارغنى الإباضى أهم آراء هذه الفرقة وهى : [٤]

---

(١) طبقات المشايخ بالمغرب للدرجينى جـ ١ ص ٦٨ .

(٢) يقول أبو عمر المارغنى الإباضى "ليس بيننا وبين الخليفة مسائل إلا واحدة وهى قولهم لكل حوزة إمام لا يعدوها إلى غيرها وضلوا ضلالا بعيدا لخلافهم الإجماع ونقضهم ما سارت به الأمة أجمعين وإنما خرج عن الإمام عبد الوهاب رحمه الله أيضاً "مخطوط فرق الإباضية الست للمارغني ص ٥ .

(٣) الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلى يحيى معمر ص ٣١٤ و ص ٣١٥ .

(٤) مخطوط فرق الإباضية الست للمارغنى ص ٥ ، ٦ . والمرجع السابق ص ٣١٤ ، ص ٣١٥ .

١ – لا يشرك من أنكر سوى الله .

٢ – يقولون في أحكامهم بشرك المتأولين المخطئين من فرق الأمة الإسلامية .

٣ – الحب والرِّضا والولاية والعداوة والبغض والسخط أفعال الله وليست بصفات له .

٤ – أباحوا الزنا وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك يتقى بها ويغرم بعد ذلك منه .

٥ – الحرام المجهول معاقب عليه .

٦ – فرقوا بين الأسماء والأحكام فسموا اليهود منافقين وسموا المتأولين مشركين وأجازوا السبى منهم ، وأحلوا النكاح منهم وهم عندهم مشركون فيما زعموا .

٧ – قالوا إن حجة الله تنال بالفكر فى دين الله اضطراراً .

٨ – لا يجوز أن يبعث الله رسولا إلا بعلامة يعرف بها ويتميز عن غيره ولا يكون له حجة إلا بها .

٩ – وقالوا إن العقلاء يتفاضلون فى التكليف والاستطاعة ولا يتفاضلون فى العقل .

١٠ – وقالوا خوف الرسل خوف إجلال لا خوف عقاب .

والناظر إلى هذه المبادىء يجد أن بعضها يخرج صاحبها عن الملة الإسلامية وهذا هو السبب فى تبرّى الإباضية من هذه الفرقة الحسينية أو العمرية يقول الشيخ أبو زكريا الوارجلانى " إن طائفة تنتحل اسم الإباضية يقال لهم العمرية لم تجمعنا وإياهم جامعة من قبل . وهم يزعمون أنهم إباضية وهم أتباع عيسى بن عمير" . (١)

ومن هذا المنطلق الموضوعى الذى نحاول أن نسير فيه نستطيع القول ؟ إن صحة مقولة إنه "ليس كل من انتسب إلى الإباضية اعتبر إباضيا ، وليس كل من خالف من الإباضية فى مسألة من مسائل الاجتهاد يعتبر خارجا عن الإباضية ورئيس فرقة مستقلة ويكون له عنوان مستقل" (٢)

---

(١) ، (٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلى يحيى معمر ص ٣١٥ .

إن الحسينية أو العمرية تعد بمبادئها هذه فرقة من الفرق الخارجة عن الإسلام وخارجة عن مبادىء الإباضية الصحيحة .

٥ – السكاكية :

زعيم هذه الفرقة رجل اسمه عبد الله السكاك من منطقة لواتة قنطرار وكان يعمل بالصياغة وقد اكتسب من عمله بالذهب مالا كثيراً . ولم يكتف بما حصل عليه من أموال طائلة من صياغة الذهب بل أراد أن يحصل أيضاً على الشهرة ولو كان ذلك على حساب دينه وعقيدته فنادى بمجموعة من المبادىء والمقالات التى تخرجه عن الإباضية وعن الإسلام حتى أن أبا يعقوب بن يوسف بن نفاث يقول : "أدركت جماعة من الشيوخ بمنطقة قسطيلية يصلون على جميع موتى أهل القبلة كلهم من المخالفين وغيرهم إلا أصحاب السكاك فإن من مات منهم جعلوا فى رجليه مرابط وجروه بها إلى موضع يوارونه فيه" (١)

قال أبو العباس الدرجينى "كان مشائخ السف (أى سلف الإباضية) تتقارب أقوالهم فى السكاك وأصحابه وتتفاوت فقائل بشركهم وقائل بنفاقهم ، وهذا المذهب قد فنى أصحابه" (٢) .

ويبدو لى أن الرجل استطاع بما يملك من ذهب ومال وفير أن يضم إليه نفر من ضعاف النفوس اعتنقوا مقالاته ومبادئه وهذه المبادىء أخرجتهم عن الإباضية وعن العقيدة الإسلامية . فعبد الله السكاك قال بعقائد غريبة عن مبادىء الإسلام السمحة منها : (٣)

١ – إنكار السنة والإجماع والقياس وزعم أن الدين كله مستخرج من القرآن الكريم . (٤)

٢ – زعم السكاكية أن صلاة الجماعة بدعة . (٥)

---

(١) ، (٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلى يحيى معمر صفحة ٣١٦ .

(٣) المرجع السابق صفحة ٣١٧ . وفرق الإباضية الستة للمارغنى ص ٦ .

(٤) إنكار السنة إنكار للوحى ومنكر السنة كافر بإجماع الفقهاء .

(٥) أجمع الفقهاء على أن صلاة الجماعة مشروعة وأنه يجب إظهارها فى الناس فإن امتنعوا كلهم منها قوتلوا عليها ... وصلاة الجماعة فى الفرائض سنة مؤكدة ، والجماعة فى النفل مباحة فقد ثبت أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين تطوعاً ، وصلى معه أنس عن يمينه ، كما صلت أم سليم وأم حرام خلفه .
وقد ورد فى فضل صلاة الفرائض جماعة عدة أحاديث هامة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : "أتى =

٣ – اعتبر السكاكية الأذان بدعة فإذا سمعوه قالوا نهق الحمار [١] .

ويرى السكاكية أنه لا تجوز الصلاة إلا بما عرف تفسيره من القرآن [٢] .

= النبى ﷺ وسلم رجل أعمى : فقال : يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، فسأل رسول الله أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال له : "هل تسمع النداء بالصلاة" ؟ قال : نعم ، قال فأجب " (رواه مسلم)

وصلاة الجماعة سنة مؤكدة فى حق كل مؤمن لم يمنعه عذر عن حضور الجماعة يقول رسول الله ﷺ : ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيها صلاة الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان . فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (رواه أحمد وأبو داود والنسائى ، والحاكم ، وهو صحيح) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها (أى صلاة الجماعة) إلا منافق معلوم النفاق) ولقد كان الرجل يؤدى به يهادى بين اثنين حتى يقام فى الصف" (مسلم) .

انظر : المبحث الثامن "صلاة الجماعة" (في كتاب الصلاة) للمؤلف ص ٢١١ إلى صفحة ٢٢٩ .

(١) الأذان لغة الإعلام . والأذان شرعاً : هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة ... والأذان سنة مؤكدة تسبق الصلاة فى حق الرجال ، لأداء الفرائض أو قضائها .

أما النساء فليس عليهن أذان ولا إقامة ، وإن أذن وأمن وحدهن فلا بأس ، وإن لم يفعلن ذلك فجائز .

وقد ثبت أصل الأذان بالكتاب الكريم والسنة المطهرة ... يقول تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (الجمعة : ٩) ، ويقول تعالى : "وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً" (المائدة : ٥٨) .

وفى السنة المطهرة العديد من الأحاديث النبوية الحاثة على الأذان منها : عن مالك بن الحويرث ان النبى ﷺ قال : "إذا حضرت الصلاة فليؤذن بكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" (رواه البخارى ومسلم وأحمد) .

وعن معاوية أن النبى ﷺ قال : "إن المؤذنين أطول الناس أعناقا يوم القيامة" (رواه أحمد ومسلم) .

وعن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله يقول : "ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان (أحمد) .

وفضل الأذان عظيم فعن أبى هريرة : رضي الله عنه أن رسول الله قال : "لو يعلم الناس ما فى الأذان والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ..." (رواه البخارى) .

وقيل فى تفسير قوله عز وجل : "ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً" نزلت فى المؤذنين .

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن عائشة قالت : ما أرى هذه الآية إلا فى المؤذنين" "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً" (فصلت : ٣٣) من ذلك كله يتضح لنا ضلال رأى السكاكية فى اعتبار الاذان بدعة .

انظر : كتاب الصلاة للمؤلف مبحث الأذان ص ٣٧ : ص ٥٤ .

(٢) هذا رأى خاطىء فلا يعد معرفة تفسير ما يقرأه المصلى من آيات شرطا من شروط الصلاة .

والقرآة فرض على من قدر عليها باللغة العربية وقراءة الفاتحة فرض فى كل ركعة من ركعات الفرض والنفل لقول رسول الله : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" (رواه البخارى) . وقد ثبت أن =

ويرى السكاكية أن طعام الدرس [١] نجس لما يبول عليه من الدواب حين الدرس . والبقول والخضر نجسه إذا وضع في أرضها السماد .

وهذا رأى شاذ لم يقل به أحد من علماء الإسلام .

لكن عبد الله السكاك أراد أن يشتهر بين الناس ويخرج عن جماعة الإباضية فقال بهذه الآراء الشاذة الغريبة ولهذا ليس عجيباً أن يُحكم عليه الإباضية بالشرك أو النفاق ويخرجوه من دائرة مذهبهم . ثم لا يلبث أن يقضى على السكاكية وتنتهى بدعتهم بموت صاحبها عبد الله السكاك اللواتى .

= النبى ﷺ كان يقرأ الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الفرض والنفل ، ولم يثبت عنه خلاف ذلك . وقد قال رسول الله : "لا تجزىء صلاة ولا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب" (رواه ابن خزيمة بإسناد صحيح ، ورواه ابن حبّان وأبو حاتم) . وقراءة الفاتحة على ما أشرنا من قبل ركن في جميع ركعات الفرض والنفل على الإمام المنفرد بخلاف المأموم فإنها لا تفترض عليه .
ومن عجز عن القراءة كأمى وأخرس ، لا تكون فرضاً فى حقه .
ومن يعرف القراءة بالعربية فلا تجوز القراءة بغيرها من اللغات لأن النبى وأصحابه كانوا لا يقرءون القرآن بغير العربية ولو خارج الصلاة ، وغير العربى لا يكون قرآناً ، فإن لم يحسن شيئاً من القرآن لزمه أن يقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لحديث الرسول الله "إن كان معك قرآن فاقرأ وإلا فاحمده وكبره وهلله ، ثم اركع" رواه أبو داود ، والترمذى وحسنه) وقال الخطابى : الأصل أن الصلاة لا تجزىء ، إلا بقراءة فاتحة الكتاب ، ومعقول أن قراءة فاتحة الكتاب على من أحسنها دون من لا يحسنها ، فإذا كان المصلى لا يحسنها ويحسن غيرها من القرآن ، كان عليه أن يقرأ منه قدر سبع آيات لأن أولى ، الذكر بعد الفاتحة ما كان مثلها من القرآن الكريم ، وإن كان ليس فى وسعه أن يتعلم شيئاً من القرآن لعجز فى طبعه أو سوء فى حفظه أو عجمة فى لسانه أو عاهة تعرض له . كان أولى الذكر بعد القرآن ما علمه النبى ﷺ مع التسبيح والتحميد والتهليل .
وقال النووى مذهبنا إنه لا يجوز قراءة القرآن بغير لسان العربى سواء أمكنه العربية ، أم عجز عنها ، وسواء أكان فى الصلاة أم فى غيرها ، فإن أتى بترجمة فى صلاة لم تصح صلاته، وإن لم يحسن القراءة فإن الترجمة ليست قرآنا . وبه قال الجمهور منهم مالك وأحمد وداود . انظر : كتاب الصلاة للمؤلف ص ٧٦ ، ص ٧٧ .

(١) يقال درس البعير يدرس درساً : أى جرب جرباً قليلاً ، واسم ذلك الجرب الدرس . قال الأصمعى : إذا كان بالبعير شىء خفيف من الجرب قيل : به شىء من درس ، والدرس : الجرب أول ما يظهر منه ، واسم ذلك الجرب الدرس أيضاً .
(لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ط دار المعارف صفحة ١٣٦٠ .

الفرقة السادسة الفرثية :

اتباع رجل أباضى من ورجلان بجنوب الجزائر اسمه "أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح" عرف عنه كثرة الاطلاع على الأفكار الخارجة على الإباضية وبخاصة أفكار أبو زياد أحمد بن الحسينية صاحب آراء "الحسينية" التى تعد عند الإباضية خروجاً عنهم وعن الإسلام . وجملة آراء الفرثية كما ذكرها المارغنى : [١]

(١) نجاسة الفرث [٢] وما طبخ فيه من طعام .

(٢) تحريم دم العروق ولو بعد غسل المذبح وكذلك دم الجوف .

(٣) تحريم أكل الجنين من الشاة المذبوحة .

(٤) نجاسة عرق الجنب وعرق الحائض .

(٥) لا تعطى الزكاة إلا لقرابة المزكى .

وهذه الآراء تعد مجرد اجتهادات فرعية خالف بها أبو سليمان بن يعقوب جمهور إباضية المغرب مما يجعلنا لا نستطيع أن نكفره باجتهاداته فى الفروع وإن كانت آراءه غريبة لكن يبدو لنا أنه أراد بمقالاته هذه أن يلفت الأنظار إليه ومن هنا فاننى اعتبر أنه مجرد مجتهد فى إطار المذهب الإباضى وليس صاحب فرقة وهو رأى بعض علماء الإباضية [٣] .

وقد ذكر أصحاب المقالات والملل والفرق والنحل الإسلامية فرقاً أخرى انشقت عن الإباضية ، والإباضية أنفسهم لا يعتبرون هذه الفرق التى ذكرها أصحاب المقالات فرقا إباضية من هذه الفرق الحفصية واليزيدية والحارثية والإبراهيمية والميمونية والواقفية والضحاكية والبيهسية والشبيبية . وأنا حين أشير فى هذا الكتاب إلى هذه الفرق إنما

---

(١) مخطوط الفرق الست وما زاغت عن الحق للمارغنى ورقة ٧ .

(٢) الفرث : السرجين مادام فى الكرش قال ابن سيده : الفرث والفراثة : سرقين الكرش .

(٣) مثل على يحيى معمر فى كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣١٩ .

أذكرهم لأبين للقارئ أن أفكار هذه الفرق التى ذكرها كتاب المقالات تختلف تمام الاختلاف عن مبادىء ومقالات الإباضية ، فعقائدها بعيدة كثيراً عن عقائد الإباضية وأصولها . ومن الظلم أن نحسب هذه الفرق على الإباضية . لأننا كما أشرنا من قبل وقلنا إن الإباضية من أقرب الفرق إلى الجماعة الإسلامية وإلى مبادىء الإسلام والأمانة العلمية تقتضى منا أن نذكر رؤية أصحاب المقالات للفرق الإباضية من وجهة نظرهم .

ثم بعد ذلك نشير إلى رأينا فيما كتبه هؤلاء العلماء بأمانة وحيدة علمية خالصة .

ثانيا : فرق الإباضية عند أصحاب المقالات :

الفرقة الأولى : الحفصية نسبة إلى رجل يقال له "حفص بن أبى المقدام" .

ولا تذكر كتب الفرق الإسلامية شيئاً عن هذا الرجل ولا ذكر له فى المصادر الإباضية وكل ما تذكره كتب الفرق الإسلامية أن "حفص بن أبى المقدام" [١] هو إمام الحفصية من الفرق الإباضية وقد زعم حفص هذا " أن بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده ، فمن عرف الله سبحانه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع الخبائث من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر ما حرم الله من فروج النساء فهو كافر برىء من الشرك ، وكذلك من اشتغل بسائر ما حرم الله سبحانه مما يؤكل ويشرب فهو كافر برىء من الشرك ، ومن جَهَل الله سبحانه وأنكره فهو مشرك فيبرىء من حفص جل الإباضية إلا من صدقه منهم . [٢]

ومن ذلك نلاحظ أن الحفصية زعموا أن بين الشرك والإيمان خصلة وسطى . هى معرفة الله تعالى وحده ، والخصلة الوسطى عندهم مسألة نظرية ، لأنه إذ يوجد الإيمان بالتوحيد ، يوجد الإيمان بالكتب والرسل .

---

(١) المقالات جـ ١ ص ١٧٠ ، الملل للشهرستانى ١ / ١٨٣ . التبصير فى الدين للاسفراييني ص ٥٧ ، الحور العين للحميرى ص ١٧٥ .

(٢) مقالات جـ ١ ص ١٧ .

أما آراء الحفصية فى السياسة فى الخلافة فهى شديدة الغلو أيضاً فهم مثلاً لا يقرون خلافة عثمان وعداوتهم لعلى شديدة حتى أنهم أولوا القرآن فى شدة عدائهم لعلى كرم الله وجهه مع أن هذه الفرقة لم يعرف لها أى دور سياسى فى تاريخ الحركة الخارجية أو الإباضية .

يقول عنهم الإمام الأشعرى [١] "وتأولوا فى عثمان نحو ما تأولت الشيعة فى أبى بكر وعمر ، وزعم "حفص بن أبى المقدام" أن عليا هو الحيران الذى ذكره الله تعالى فى القرآن (كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران ، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) ٦ : ٧١ وأن أصحابه الذين يدعونه إلي الهدى أهل النهروان (المحكمة) وزعم أن عليا هو الذى أنزل الله سبحانه فيه : (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) ٢ : ٢٠٤ .

وإن عبد الرحمن بن ملجم (قاتل على) هوالذى أنزل الله فيه (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) ٢ : ٢٠٧ . ثم قال حفص بعد ذلك : "الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله ، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله" .

ومن فرق الإباضية أيضاً : اليزيدية ، وهى أشد فرق الخوارج غلواً ، ولهذا فهم لا يعدون عند كتاب الفرق الإسلامية من فرق الإسلام" [٢] .

وصاحب هذه الفرقة هو يزيد بن أنيسة . وهو يلتقى مع الإباضية من ناحية الأفكار الخاصة بالإمامة فقد قال يزيد بن أنيسة "بتولىّ المحكمة الأولى . ممن بعدهم الا الإباضية فإنه يتولاهم" [٣] .

ويبدو لنا أن لسكنى يزيد بن أنيسة فى جفال حلوان [٤] تأثير على غلوه فى عقائده حيث توجد هناك بقايا العقائد الفارسية القديمة مما جعله يقول بعقائد متطرفة لا تمت

---

(١) مقالات جـ ١ ص ١٧٠ .

(٢) الفرق بين الفرق جـ ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١ / ٧١٣ .

(٤) تقع على آخر حدود السواد مما يلى الجبال بينها وبين بغداد خمسة مراحل . ياقوت : المشترك ص ١٤٢ .

بصلة أبداً لعقائد الإباضية المعتزلة فهو يقول مثلاً "بأن الله سيبعث رسولاً إلى العجم منهم وينزل عليهم كتاباً جملة واحدة ، فترك شريعة محمد ﷺ ، ودان بشريعة غيرها ، وزعم أن ملة ذلك النبى الصابئة ، وليس هذه الصابئة التى عليها الناس اليوم وليس هم الصابئين الذين ذكرهم الله فى القرآن ولم يأتوا بعد .

وتولى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكتاب ، وإن لم يدخلوا فى دينه ولم يعملوا بشريعته ، وزعم انهم مؤمنون" . (١)

وجل الإباضية تبرأوا من اليزيدية ، وقال ابن الأثير عن اليزيدية "هؤلاء أكفر الخوارج" . (٢)

والفرقة الثالثة من فرق الإباضية هم الحارثية أصحاب الحارث بن يزيد الإباضى . (٣)

وقد يكون هذا الحارث هو ذات الرجل الذى طرده ابن أبى كريمة من مجالس الإباضية فى البصرة لقوله في القدر . قال الشماخى "وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس فقالا إن حمزة وعطية والحارث أحدثوا علينا فمن آواهم فهو الخائن المتهم ... لأنهم أخذوا بقول أهل القدر فبرىء منهم أبو عبيدة وحاجب" (٤) .

ومن المعروف أن الحارثية قالوا فى القدر بقول المعتزلة ، وخالفوا فيه سائر الإباضية وزعموا "أن الاستطاعة قبل الفعل" (٥) ولهذا فإننا نلاحظ أن "سائر الإباضية أكفروا الحارثية فى ذلك لأن جمهور الإباضية على القول بأن الله خالق أفعال العباد أو الاستطاعة مع الفعل" (٦) .

---

(١) مقالات : جـ ١ ص ١٧١ .
(٢) ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب ٣ / ٣٠٩ .
(٣) الاسفراييني ك التبصير فى الدين . ذكر ان اسم أبيه مزيد بدلاً من يزيد ص ٥٧ .
(٤) الشماخى : السير ص ١٢٠ .
(٥) الأشعرى : مقالات جـ ١ ص ١٧١ .
(٦) البغدادى : الفرق بين الفرق ١٠٥ .

وينسب إليهم الشهرستانى القول بطاعة لا يراد بها الله تعالى ، بينما البغدادى والأشعرى يجعلان القائلين بذلك فرقة مستقلة من فرق الإباضية والفرقة الرابعة من الإباضية هم من يقولون "بطاعة لا يراد الله بها على مذهب أبى الهذيل العلاف المعتزلى ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مطيعاً لله إذا فعل شيئاً أمره الله به ، وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به" (١) بينما أهل السنة لا يذهبون إلى ذلك إلا فى النظر الأول فإن صاحبه إذا استدل به كان مطيعاً لله فى فعله ، وإن لم يقصد به التقرب إلى الله تعالى" (٢) .

ولقد كان من الإباضية : الابراهيمية ، والميمونية ، والواقفية والضحاكية ، والمسألة باختصار أن رجلاً يقال له ابراهيم من الإباضية اختلف مع رجل يقال له ميمون – غير ميمون صاحب الميمونية من العجاردة – فى جواز بيع جارية مؤمنة إلى الكفرة ، فأحل ذلك ابراهيم وتبرأ منه ميمون ، وتوقف فى الأمر آخرون فصاروا ابراهيمية وميمونية وواقفية وتبع ابراهيم على إجازة هذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية . (٣) .

وأجازوا نكاح المسلمة من كفار قومهم فى دار التقية ، ويفصل لنا الأشعرى القصة فيقول "وكان رجل من الإباضية يقال له "ابراهيم" أفتى بأن بيع الاماء فى مخالفيهم جائز فبرىء منه رجل يقال له ميمون "وممن استحل ذلك ، ووقف قوم منهم فلم يقولوا بتحليل ولا بتحريم وكتبوا يستفتون العلماء منهم فى ذلك ، فأفتوا بأن بيعهن حلال ، وهبتهن حلال فى دار التقية ، ويستتاب أهل الوقف من وقفتهم فى ولاية ابراهيم ومن أجاز ذلك وأن يستتاب ميمون من قوله ، وأن يبرءوا من امرأة كانت معهم كانت وقفت فماتت قبل ورود الفتوى ، وأن يستتاب ابراهيم من عذره لأهل الوقف فى جحدهم الولاية عنه وهو مسلم يظهر اسلامه ، وأن يستتاب أهل الوقف من جحدهم البراءة عن ميمون هو كافر يظهر كفره ، فأما الذين وقفوا ولم يتوبوا من الوقف وثبتوا عليه سموا "الواقفة" وبرئت الخوارج منهم ، وثبت ابراهيم على رأيه فى التحليل لبيع الاماء من المخالفين وتاب ميمون .

وافترقت فرقة من "الواقفية" وهم "الضحاكية" فأجازوا أن يزوجوا المرأة المسلمة

---

(١) الأشعرى : مقالات ص ٢٧٢ جـ ١ .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٠٥ ، والاسفراييني : التبصير : ص ٣٥ .

(٣) لعل صاحبهم هو الضحاك بن قيس الخارجى المتوفى سنة ١٢٨ هـ البداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص ٢٨ .

عندهم من كفار قومهم فى دار التقية ، كما يَسَعُ الرجل منهم أن يتزوج المرأة الكافرة من قومه فى دار التقية ، فأما فى دار العلانية – وقد جاز حكمهم فيها – فإنهم لا يستحلون ذلك فيها .

ومن الضحاكية فرقة وقفت فلم تبرأ ممن فعله ، وقالوا : لا نعطى هذه المرأة المتزوجة من كفار قومنا شيئاً من حقوق المسلمين ولا نصلي عليها إن ماتت ، ونقف فيها ، ومنهم من برىء منها (١) .

وبعض كتاب الفرق يرون أن من الإباضية – فرق البيهسية أتباع أبى بيهس هيصم بن جابر (٢) .

وقد قال البيهيسية فى المسألة التى وقع فيها الخلاف بين الابراهيمية والميمونية إن ميموناً كفر بأن حرم بيع الأمة فى دار التقية من كفار قومنا ، وكفرت الواقفة بأن لم يعرفوا كفر ميمون وصواب ما ذهب إليه ابراهيم ، وقد كفر ابراهيم بأن لم يتبرأ من الواقفة (٣) ، وحين ورود كتاب نافع بن الأزرق إلى المحكمة وفيهم عبد الله بن إباض وأبو بيهس مخالفته لنافع ولابن أباض معا (٤) وزعم أبو بيهس (٥) "أنه لا يسلم على أحد حتى يقر بمعرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة ما جاء به محمد جملة ، والولاية لأولياء الله سبحانه ، والبراءة من أعداء الله ، وما حرم الله سبحانه بما جاء فيه الوعيد ، فلا يسع الإنسان إلا علمه ومعرفته بعينه وتفسيره ، ومنه ما ينبغى أن يعرفه باسمه ولا يبالى ألا يعرف تفسيره وعينه حتى يبتلى به ، وعليه يقف عندما لا يعلم ولا يأتى شيئاً إلا بعلم" .

---

(١) مقالات : جـ ١ ص ١٧٥ ، وص ١٧٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : "البيهسية من الخوارج تنسب إلى أبى بيهس من بنى سعد بن ضبيعة ابن قيس ، واسمه هيصم بن جابر ، وكان عثمان بن حيان المزى والى المدينة قطع يديه ورجليه ، المعارف ٢٦٧ .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٠٨ .

(٤) وقال بيهس "أنا أقول إن أعداءنا كأعداء رسول الله تحل لنا الإقامة فيهم ، كما فعل المسلمون فى إقامتهم بمكة ، وأحكام المشركين تجرى فيها ، وأزعم أن مناكحهم أو مواريثهم تجوز ، لأنهم منافقون يظهرون الإسلام ، وان حكمهم عند الله لحكم المشركين ، وأن الدار دار كفر ، والاستعراض فيه جائز ، وان أصيب من الأطفال فلا حرج" . الكامل : للمبرد جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٥) الأشعرى : مقالات : جـ ١ ص ١٧٨ .

وقال بعض البيهسية : "من واقع زنا لم نشهد عليه بالكفر حتى يرفع إلى الإمام أو الوالى ويحد "فوافقهم على ذلك طائفة من الصفرية ، إلا أنهم قالوا : نقف فيهم ، ولا نسميهم مؤمنين ولا كافرين .

وقالت طائفة من البيهسية : إذا كفر الإمام كفرت الرعية ، وقالت : الدار دار شرك ، وأهلها جميعاً مشركون ، وتركت الصلاة إلا خلف من تعرف ، وذهبت إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال واستحلت القتل والسبى على كل حال .

وقالت البيهسية : الناس مشركون بجهل الدين ، مشركون بمواقعة الذنوب ، وإن كان ذنب لم يحكم الله فيه حكما مغلظا ولم يوقفنا على تغليظه فهو مغفور ، ولا يجوز أن يكون أخفى عنا فى ذنوبنا ولو جاز ذلك جاز فى الشرك .

وقالوا التائب فى موضع الحدود وفى موضع القصاص والمقر على نفسه يلزمه الشرك إذا أقر من ذلك بشىء ، وهو كافر ، لأنه لا يحكم بشىء من الحدود والقصاص إلا على كل كافر يشهد عليه بالكفر عند الله" (١) .

ومن البيهسية فرقة يقال لها "العوفية وهم فرقتان : فرقة تقول : من رجع من دار هجرتهم ومن الجهاد إلى حال القعود نبرأ منهم .

وقال البغدادى "هؤلاء يعرفون بالشيبية لانتسابهم إلى شبيب بن يزيد الشيبانى ، ويعرفون بالصالحية أيضاً لانتسابهم إلى صالح بن مسرح الخارجى ، وكان شبيب بن يزيد الخارجى من أصحاب صالح ، ثم تولى بعده على جنده" (٢)

ويقول المقريزى "أن الشيبية كانوا على ما كانت عليه المحكمة الأولى إلا أنهم انفردوا عن الخوارج بجواز إمامة المرأة وخلافتها ، وقد استخلف شبيب أمه غزالة فدخلت الكوفة (٣) وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع ، فقرأت فى الركعة الأولى البقرة ، وفى الثانية

---

(١) مقالات : ص ١٨١ .

(٢) مقالات : ص ١٨٢ .

(٣) وقال بعض البيهسية : السكر من كل شراب حلال موضوع عمن سكر منه ، وكل ما كان فى السكر من ترك الصلاة أو شتم الله سبحانه وتعالى فهو موضوع لا حد فيه ولا حكم ، ولا يكفر أهله بشىء من ذلك ماداموا فى سكرهم .

وقالوا إن الشرب حلال الأصل ولم يأت فيه شىء من التحريم . لا فى قليله ولا فى إكثار أو فى سكر .

آل عمران" [١] .

ومن المعروف أن شبيباً لم يحدث أقوالاً كثيرة ، فلما مات صالح أوصى إلى شبيب علي ما قلنا ... فخرج شبيب بالموصل فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ودارت رحى الحرب بينه وبين جيوش الخليفة وكان له النصر على خمسة قواد لخمسة جيوش منها ، ثم خرج يريد الأهواز ففرق فى دجيل عام ٧٧ هـ . وهو يقول : (ذلك تقدير العزيز العليم) . [٢]

لكن مما أبدعه الشبيبية "أنهم زعموا أن الرجل يكون مسلماً إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وتولى أولياء الله وتبرأ من أعدائه ، وأقر بما جاء من عند الله جملة ، وإن لم يعلم سائر ما افترض الله سبحانه عليه مما سوى ذلك أفرض هو أم لا ، فهو مسلم حتى يبتلى بالعمل به فيسأل . وفارق الشبيبية "الواقفة" . وقالوا فى أطفال المؤمنين بقول الثعلبية : "أنهم مؤمنون أطفالا وبالغين حتى يكفروا ، وان أطفال الكفار كفار أطفالاً وبالغين حتى يؤمنوا ، وقالوا بقول المعتزلة فى القدر" [٣] .

والشبيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا إليه من الوقف فى بعض أمور فعلها صالح وحكم فيها ، فبرئت من صالح فرقة فسميت الراجعة . وصوب بعض الخوارج وأى صالح فيها ، ووقف "شبيب" فى صالح والراجعة ، وقال لا ندرى ما حكم به صالح كان حقاً أو باطلاً [٤] وحق ما شهدت به الراجعة أم جور ، فبرئت الخوارج منهم وسموهم "مرجئة الخوارج" .

وبعد ... فهذه أهم فرق الإباضية عند أصحاب المقالات أما الإباضية فينكرون هذه الفرق إنكاراً تاماً وينبغى أن أشير فى النهاية إلى أن مؤلفات الإباضية المشارقة من القرن

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ١ ص ١١٤ ، ص ١١٥ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ١٢ .

(٣) مقالات جـ ١ ص ١٧٩ .

(٤) وأما بعض الإباضية فيذهب إلى أن الذين برئوا من صالح كفروا وأن من وقف فى كفرهم كفر وأحسنوا الظن لشبيب ، وقالوا : لم يكن مثله يبرأ منه ، وقالوا : ويدل على ذلك أنه كان معه حتى قتل ، فهو عندهم على أصل إيمانه "مقالات جـ ١ ص ١٨٨ .

الثامن الهجرى كثيرة يمكن من خلالها لأى باحث موضوعى جاد أن يتعرف على تراث الإباضية وفرقهم . (١)

---

(٢) توجد قائمة بذكر مؤلفات الإباضية المشارقة من القرن الثامن الهجرى وأشار إليها الأستاذ مهدى طالب هاشم فى كتابه عن الحركة الإباضية فى المشرق العربى ص ٣٢٠ وهى عبارة عن رسالة بعث بها أبو القاسم البرادى إلي أحد العلماء الإباضية ويعد فإن الرسول لم أفهم عنه مرادك من تسمية التواليف فمن ذلك تواليف أصحابنا المشارقة صفة أحداث عثمان بن عفان رأيته ولم أعرف مؤلفه . وكتب فيه أخبار صفين وأخبار أهل النهر وقتلهم أكثر آثاره عن عبد الله بن يزيد الفزارى رأيته ولم أعرف مؤلفه ، وكتاب عبد الله بن أباض كتب به إلى عبد الملك بن مروان جواباً عن كتابه اليه يشتمل على النقض والرد وتبيين الاعتقادات والاحتجاج بآى القرآن .

وكتاب سالم بن الحطيئة الهلالى فى العقائد والنقض والاحتجاج وكتاب شبيب بن عطية تكلم فيه عن الشكاك والمرجئة والذى اعرف من آثار قومنا شبيباً صفرى لكن كلامه في الكتاب كلام موافق كتب به إلى عبد السلام .

وكتاب الفرائض لابن عبد الجبار وقفت عليه ، والمسند وهو حديث الربيع وكتاب الحجة على الخلق فى معرفة الحق كتاب ضمام رواية أبى صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع عن ضمام ، وكتاب آخر فى الفروع رواية الهيثم بن الهيثم عن أشياخه عن الربيع .

كتاب أبى سفيان يشتمل على الأخبار والفقه والكلام والعقائد وقال الإمام أفلح رضى لله عنه عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لا سيما كتب أبى سفيان يشتمل على الاخبار وعهده الذى كتب فيه إلى الإمام عبد الله يحيى الكندى .

ومدونة أبى غانم التى قيد سماعها عن تلاميذ أبى عبيدة تشتمل على عدة كتب وقفت منها على كتاب الصيام وكتاب الشهادات وكتاب الأقضية والأحكام وكتاب النكاح ، وكتاب محمد بن محبوب وقفت على جزء واحد من أجزائه فى جملته سبعون جزء أذكر ذلك عن الشيخ أبى صالح ابى بكر بن قاسم البراسنى . وجامع أبى جعفر جابر محمد بن جعفر الأزكوى يكون سفرين كبيرين فى الفروع ومختصر الشيخ أبى الحسن وهو سبوع اللحم أخبرنى بذلك الثقة الحافظ عطا ربيع بن أحمد . وجامع الشيخ أبى الحسن الموافق عليه ونكره لى هذا الشيخ أيضاً . فقال جامع الشيخ أبى الحسن من جملة الكتب الذى وصل بها الشيخ أبو موسى عيسي بن زكريا البراسنى من عمان إلى الجزيرة (جزيرة جربة) .

وكتاب مدح العلم وأهله لأبى محمد عبد الله بن محمد بركه وهو جامعة سفر كبير ، وكتاب التقييد له أيضاً وقفت عليه .

وكتاب الدعائم الأصل ذكره لى بعض أصحابنا العمانيين بمكة شرفها الله سنة خمس وسبعين من مائتا هذه أن عدة المثبتة عددهم فى هذا الكتاب بعمان ، وسير الشيخ أبى محمد الحسين على بن محمد لبسيوى وقفت على ثلاثة .. منها ما هو إلى أهل المغرب كلها فى النقض والردود وتسمية أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم .

وكتاب التخصيص لأبى بكر الأزكوى ، وكتاب للذكائر والحجج وهو المعروف بالحضرومى .

وكتاب الضياء يذكرون أنه وصل المغرب من النسخة الكبيرة التامة نيف وأربعون جزءاً ورأيت فيه ثلاثة =

وبعد هذا العرض لفرق الإباضية من وجهة نظر كتاب المقالات والملل والنحل يمكننى أن أقول بأننى لا أستطيع أن أتهم بالشطط والغلو فى آرائهم علماء أجلاء تعلمنا على كتبهم واستفدنا منها فائدة عظيمة ، لكن أستطيع أن أقول إنه إذا كان الإباضيون أنفسهم لا يعتبرون هذه الفرق من جماعتهم ، بل ويتبرءون منهم ، وهم بالطبع أدرى الناس بفرقهم فمن الأفضل لنا ألا نعتبر هذه الفرق من فرق الإباضية . كذلك يمكننا أن نفسر السبب فى إدراج كتاب المقالات لهذه الفرق ضمن الإباضية وجود ملامح ضعيفة من مبادىء الإباضية عند بعض هذه الفرق أو لأن بعض أصحابها عاشوا فى ظل حكم الدولة الإباضية مثل الدولة الرستمية ببلاد المغرب فاعتبرهم كتاب المقالات - على هذا الأساس - إباضيون - أو لأنهم تعودوا إدراج الإباضية ضمن فرق الخوارج ، وهذه الفرق - التى اعتبرها كتاب المقالات إباضية بمبادئها الخارجة عن الفكر الإسلامى الصحيح تعد إحدى إفرازات الخوارج الطبيعية .

وإذا كان هناك عتاب رقيق لهذه المقالات فهو خاص بأمر هام للغاية وهو أننا لا نجد ذكراً لكثير من أئمة الإباضية كالإمام جابر ابن زيد ، والربيع بن حبيب ولعل السبب فى ذلك هو أن معظم هذه المقالات نقلت عن مصادر غير إباضية أو لأن البعض يعدهما غير إباضيين .

= أسفار كل سفر يشتمل على أجزاء فى التوحيد والصلاة والطلاق والحيض والبيوع والأحكام وغير ذلك وهو من أثر تصنيف أهل الدعوة . وكتاب النور مختصر عن كتاب الضياء .

وكتاب تفسير الخمسمائة آية فى الحلال والحرام لأبى المؤثر الصلت بن الخميس وكتاب الحل والإصابة لمحمد بن وصاف فى سفرين كبيرين أو فى أربعة صغار وسيرة الإمام عبد الله بن يحيى وما معها من خطب أبى حمزه المختار بن عوف الأزدى لا أدرى من ألفه .

وكتاب أشعار الإمام عبد الله بن يحيى يذكرونه عندهم ، ويذكرون فى "الهامة" وأما أنا فلم أقف عليه .

ويذكرون من تأليف أهل العصر عندكم كتاب يكشف الغمة فى اختلاف الأمة يقال أنه لم يرد لأهل الدعوة مثله ويذكرون المقطعات لأبى سعيد العمانى ولم أر منها شيئاً .

وذكر الشيخ أبوالعباس أحمد بن الشيخ سعيد فى كتابه عن الشيخ أبى العباس أحمد بن بكر قال كنت أقرأ على الشيخ سعيد وأحضر مجالسه فأول ما وقفت فيه المذاكرة عنده فنظرت فى أثناء ذلك هناك من الكتب التى وصلت من المشرق فإذا نحو من ثلاثة وثلاثين ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأته حينئذ والله أعلم .

المبحث الثالث

دور أعلام الإباضية فى تطور المذهب الإباضى

أولا : عبد الله بن أباض

الحقيقة أننا إذا تتبعنا المصادر غير الإباضية تتبعاً دقيقاً لوجدنا أن أغلب هذه المصادر كالبغدادى (١) ، والمبرد (٢) ، وابن قتيبة (٣) ، والاسفراييني (٤) تذكر أن الإباضية ينتسبون إلى عبد الله بن أباض ، وأنه إمام هذه الطائفة . (٥) .

لكن الإباضية أنفسهم والمصادر الإباضية تكاد تجمع على ان ابن اباض لم يكن امامهم الحقيقى ومؤسس دعوتهم وإن كان من علمائهم ورجالهم البارزين فى التقوى والصلاح ولهذا السبب فإنها أغفلت الحديث عن كثير من جوانب حياة ابن اباض ونشاطه . ويعتبر الإباضية القدامى منهم والمحدثون ، جابر بن زيد إمامهم الاكبر ومؤسس دعوتهم . ولم يكن ابن أباض إلا واحدا من أتباع فرقته ولم يصدر فى شىء من أفعاله وأقواله إلا بأمر ذلك الإمام وإرشاده" (٦) .

ولا يستطيع أحد أن يغفل من القول بأن اسم الإباضية مشتق من اسم عبد الله بن أباض المرى من بنى عبيد بن مقاعس التميمى (٧) .

وقد ولد عبد الله بن إباض فى عهد معاوية بن أبى سفيان (٤٠ - ٦٠ هـ) وتوفى

---

(١) البغدادى عبد القادر بن طاهر الفرق بين الفرق صفحة ٨٢ طبعة بيروت ١٩٧٣ .

(٢) المبرد ، محمد بن يزيد الكامل فى اللغة جـ ٣ ص ٢٧٥ .

(٣) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم - المعارف تحقيق ثروت عكاشة القاهرة ١٩٦٠ .

(٤) الاسفراييني : مظفر الدين - التبصير في الدين ص ٥٦ القاهرة ١٩٦٢ .

(٥) ينتمى عبد الله بن أباض إلى قبيلة تميم بالبصرة وكانت من أقوى القبائل البصرية وأكثرهم عددا وعدة . وتتلمذ فى البداية على عدد من زعماء المحكمة الأولى منهم عبد الله بن وهب الراسى إمام المحكمة الأول وزعيمهم فى معركة النهروان . لكن عبد الله بن أباض لم يشترك فى حروب المحكمة ضد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(٦) خليفات ، د. عوض ، نشأة الحركة الإباضية ١٩٧٨ ، نشر الكتاب بدعم من الجامعة الأردنية .

(٧) الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب جـ ٢ ص ٢١٤ .

حوالى عام ٨٥ هـ أى إلى زمن عبد الملك بن مروان ، وقد عاصر عبد الله بن الزبير ونافع بن الأزرق .

ويعد ابن إباض من أتباع جابر بن زيد . وقد اشترك ابن إباض فى الدفاع عن الكعبة الشريفة إلى جانب عبد الله بن الزبير ضد الجيش الأموى بقيادة الحصين بن نمير السكونى الذى خلف القائد الأموى مسلم بن عقبة عام ٦٣ هـ - ٦٨٢م . وكان قد ذهب إلى مكة مع بعض قادة المحكمة مثل نجدة بن عامر الحنفى ونافع بن الأزرق وغيرهم مدفوعين برغبتهم وحماسهم فى الدفاع عن البيت الحرام على الرغم من اختلافهم فى المبادىء مع ابن الزبير" (١) .

وتعتبر المصادر الإباضية جابر بن زيد هو مؤسس مذهب الإباضية وفقيه المذهب وتذكر "أن ابن أباض كان يصدر فى كل أفعاله وأقواله عن جابر بن زيد . ولكنها فى الوقت نفسه تذكر أن ابن إباض كان رئيس الإباضية بالبصرة" (٢) .

ويرى البعض أن الأمويين كانوا لا يريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى لا يجذبوا إليهم الأنظار ، ولا يبدون فى هالة جابر المشرقة ، فتميل إليهم النفوس ، فنسبوهم إلى عبد الله بن أباض وهو أقل منزلة من جابر فى العلم وإن كان لا يقل عنه فى التقوى والورع ، والصلاح" (٣) .

وقد عرف عبد الله بن إباض بالرسالة التى أرسلها إلى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) . وفيها يوضح آراءه ونظراً لأهمية هذه الرسالة فقد الحقناها بملحق هذا الكتاب ... والشىء الذى أخذه على ابن إباض فى هذه الرسالة هو قسوته على ذى النورين الإمام الجليل عثمان بن عفان الذى وصفه رسول الله ﷺ بأنه اشد أمته حياء ، وأنه أحد العشرة المبشرين بالجنة .

---

(١) خليفات : نشأة الحركة الإباضية ص ٧٧ نقلا عن الطبرى ، جـ ٥ ص ٥٦٣ ، ٥٦٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٩ .
(٣) على محمد دي الإباضى : تاريخ المغرب الكبير جـ ٢ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ . طبعة القاهرة ١٩٦٣ .

ففى هذه الرسالة يقول ابن إباض للخليفة عبد الملك بن مروان (١) "أما بعد : ـ وكتبت إلى تحذرنى الغلو فى الدين وإنى أعوذ بالله من الغلو فى الدين ، وسأبين لك ما الغلو فى الدين إذا جهلت فإنه ما كان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتاب الذى بين لنا ، وسنة نبيه التى سن ، وقال الله تعالى "يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق (١٧١ - النساء) كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم انت عليها وقال الله عز وجل "ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل " (المائدة ٧٧) فهؤلاء أهل الغلو فى الدين .

ومن خلال هذا النص نرى أن تقييمه لسيرة سيدنا عثمان جانبها عدم الصواب ذلك أن مذهبنا التوقف فى أمر الصحابة وخصوصاً العشرة المبشرين بالجنة .

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاقتداء بهم حين قال صلوات ربى وسلامه عليه "عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى" وحذرنا من إيذائهم بالكلام " لا تؤذونى فى أصحابى فلو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبا ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه" وقال أشرف الخلق ﷺ "إن الله قد اختار لى أصحاباً فجعل لى منهم أصهاراً وأختاناً ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" .

ولقد كان عثمان بن عفان ممن يحبهم رسول الله ﷺ حبا جماً ولهذا زوجه ابنتيه رقية ثم أم كلثوم بعد وفاة رقية وقال له رسول الله ﷺ "لو أن لى أربعين بنتا لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة" .

وإذا اشتد بأحدنا العناد فعليه أن يقتدى بعبد الله ابن عمرو حين سئل عن الإمامين عثمان وعلى رضى الله عنهما فتلي قول الله تعالى "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون" . ولا أقل من أن يقتدى بقول الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز حين سئل عما شجر بين الصحابة فقال فى روعه وأدب جم "تلك دماء طهر الله

(١) ابن حميد الحارثى : العقود الفضية فى أصول الإباضية ص ١٣٤ وما بعدها .

منها أيدينا فلا نلوث بها السنتنا" .

★ ★ ★

ثانيا : جابر بن زيد الأزدى :

يعد جابر بن زيد المؤسس الحقيقى للمذهب الإباضى فهو فقيه المذهب وإمامه وعالمه الأصيل . ويعد من المحدثين الكبار فقد روى العديد من الأحاديث النبوية الشريفة وتتلمذ على كثير من الصحابة ومنهم حبر الأمة عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك . وأم المؤمنين عائشة . وتبعه كثير من علماء الإباضية كعبد الله بن أباض التميمى ومرداس بن حيدر وأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة والإمام جابر بن زيد "كان الإمام الروحى وفقيه الإباضية ومفتيهم ، وكان بالفعل هو الشخص الذى بلور الفكر الإباضى بحيث أصبح متميزاً عن غيره من المذاهب الإسلامية ، وكان ابن أباض المسئول عن الدعوة والدعاة فى شتى الأقطار وقد اكتسب ثقة أقرانه لعلمه ودينه ، فكانوا لا يصدرون فى شىء إلا بعد مشورته ... واتفقوا (أى الإباضية) على أن يتولى جابر بن زيد أمرهم وتنظيم دعوتهم منذ المراحل الأولى لتطور الدعوة فى البصرة وإيماناً منهم بذكائه واعتماداً منهم على اطلاعه الواسع وتحصيله العميق فى العلوم الدينية وخاصة ما يتعلق بالتفسير وعلوم الحديث" (١) .

وجابر هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى الجوخى (٢) البصرى من ولد عمر بن اليحمد الأزدى (٣) . ولد فى مدينة الفرق بالقرب من مدينة نزوى فى بلاد عمان وكان مولده بين عامى ١٨ ، ١٢ هـ على ما تذكر المصادر الإباضية . وتوفى على أرجح الأقوال حوالى عام ٩٣ هـ بالبصرة .

وكان جابر منذ صغره مولعاً بالعلم والمعرفة ولعل هذا هو سر ذهابه مع أسرته إلى

---

(١) د. عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ص ٨٠ ، ص ٨١ .

(٢) الجوفي نسبة الى درب الجوف فى البصرة .

(٣) قبيلة اليحمد الأزدية من قبائل عمان الكبيرة ، وقد انتقل جابر مع أسرته من الفرق بعمان إلى درب الجوف بالبصرة ، وكانت البصرة وقتذاك من أهم مراكز العلم والمعرفة فى الدولة الإسلامية .

البصرة حيث نهل من علمها ورحل إلى المدينة ومكة ودرس على كبار الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة حبر الأمة عبد الله ابن العباس . يقول جابر "أدركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم إلا البحر [١]" [٢] فقد كان ملازماً ملازمة تامة لعبد الله بن عباس وأخذ عنه الكثير ... وقد قال فيه ابن عباس "لو أن أهل البصرة نزلوا عن قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عما في كتاب الله" [٣] .

وكان ابن عباس يوجه سائلية إلى جابر بن يزيد ويقول لهم "اسألوا جابر بن زيد ، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه" [٤] .

وقال عنه قتادة بن دعامة السدوسي إنه "عالم العرب وأعلم أهل الأرض" [٥] .

وكان عمرو بن دينار البصري يقول "ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من جابر بن زيد" [٦] وكان "بعض الناس ممن يسكنون خارج البصرة يكتبون إليه مستفسرين عن مسائل ومشاكل فقهية فيجيبهم عليها" [٧] .

وتحاول بعض المصادر السنية [٨] إنكار صلة جابر بن زيد بالإباضية على أساس أن زيداً من المحدثين الثقات ولهذا لا ينبغي الصاق تهمة "الإباضية" به حتى لا يعد عندهم من المحدثين المجروحين لا العدول فعلى شرط أئمة الحديث وعلماء الجرح والتعديل أنهم يرفضون روايات أصحاب المذاهب والبدع [٩] ومن أجل ذلك شكوا في نسبته إلى الإباضية . لكن

---

(١) يقصد بالبحر عبد الله بن عباس لأنه لم يكن من أصحاب بدر .

(٢) الحارثي : (سالم بن حمد) العقود الفضية في أصول الإباضية دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان صفحة ٩٤ .

(٣) البخاري : (محمد بن إسماعيل) ، التاريخ الكبير ، جـ ١ ص ٢٠٤ طبعة حيدر آباد ١٣٨٢ هـ .

(٤) الشماخي : (أحمد بن سعيد) ، كتاب السير ، ص ٧٠ طبعة حجرية / القاهرة ١٨٨٤ .

(٥) ابن حجر العسقلاني ، (أحمد بن علي) ، تهذيب التهذيب جـ ٢ ، ص ٣٨ طبعة حيدر آباد (١٣٢٩ هـ) .

(٦) البخاري ، التاريخ الكبير ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٧) الذهبي (محمد بن احمد) ، تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٦٢ حيدر آباد ، ١٣٣٤ هـ .

(٨) كابن سعد في طبقاته ج ٧ ص ١٣١ ، ص ١٣٢ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ١٣٨ ، وأبو نعيم في الحلية جـ ٣ ص ١٨٩ .

(٩) قال أبو زرعة عن جابر بن زيد "بصري أزدي ثقة الا انه يورد رواية عن جابر بن زيد حين سئل عن انتحال الإباضية له فقال : "أبرأ إلى الله من ذلك" (الجرح و التعديل : لأبي حاتم محمد بن أدريس الرازي مجلد ١ ص ٤٩٤ - ٤٩٥) ... وطبيعي أنه ليس من المعقول أن يقول جابر أنا إمامهم لسائله .

الدلائل الدقيقة تؤكد تماماً أن جابر بن زيد هو مؤسس المذهب الإباضى وهذا هو السبب الذى من أجله حبسه الحجاج بن يوسف الثقفى ثم نفاه بعد ذلك – إلى عمان .

ولعل ذكاء جابر بن زيد فى كتمان مذهبه سببا فى ذلك ، لأنه أباح للإباضية ستر أمرهم على سبيل التقية الدينية التى يشرع أمرها عند الإباضية فى طور السر والكتمان . وظهر زكاؤها واضحاً فى رفضه القضاء حين عرض عليه الحجاج منصب القضاء فأظهر له أنه ضعيف لا يستطيع تحمل هذه المسئولية حتى تبتعد أنظار المسئولين عنه وعن حركته فحين عرض عليه القضاء قال جابر "إنى أضعف من ذلك ، قال الحجاج وما مبلغ ضعفك ؟ قال : يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما . قال إن هذا لهو الضعف" . واستطاع بذلك أن يموه على الحجاج أمره وقدراته المتعددة .

ويرجع الفضل فى تنظيم أسلوب الدعوة الإباضية إلى جابر بن زيد ... وكانت البصرة [١] مركزاً للدعوة ، ومنها كان الدعاة الذين عرفوا بحملة العلم – يتوجهون إلى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة على أيدى فقهاء المذهب وشيوخه . والمعروف أن أنصار المذهب بالبصرة كانوا يمارسون مهامهم فى طى السرية والكتمان فكانت مجالسهم فى سراديب تحت الأرض . وإمعاناً فى التخفى "كان يجلس أمام باب السرداب رجل يعمل القفاف وعلى فمه سلسلة يحركها إذا ما رأى شخصاً مقبلاً لينبه من بالداخل إلى التزام الصمت ريثما يمر من يشتبه فى أمره" [٢] .

وغالباً ما كانت هذه المجالس تقام فى بيوت النسوة العجائز منعاً للشبهة بل أن روادها كانوا يتنكرون فى ملابس النساء .

وتطلق المصادر الإباضية على هذه المجالس اسم الحلقة وفيها يتلقى الأتباع الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وآراء الفرق إلى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات هذا فضلا عن تبصيرهم بفنون الحكم ، وأساليب السياسة ، وإعدادهم لتقلد المناصب

---

(١) الخوارج فى بلاد المغرب د. عبد الرازق ص ٥٢ .
(٢) الشماخى : السير ص ١٢٤ .

والاضطلاع بأعبائها فى مرحلة الظهور . وبعد ذلك يشرعون فى المجاهرة بالعمل إذا ما توفر لهم "ما يوجب به التولية عليهم من العدة والعدد من الرجال" .

ومما يبين لنا أن جابر بن زيد كان المسئول عن التنظيم السرى الإباضى ما روى عند اعتقال أحد مشايخ الدعوة الإباضية المسمى أبو سفيان قنبر "وكان شيخاً كبيراً أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل . قال جابر بن زيد وكنت قريبا منه ، وما كنت انتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله" (١) .

ويبدو أن النشاط الإباضى فى عهد جابر بن زيد كان يمثل ضعفاً وقلقاً على الحجاج بن يوسف الثقفى ، ولهذا نجد أن الحجاج يعمد إلى نفيه إلى عمان مع أحد مشايخ الدعوة المسمى هبيرة .

ثالثاً : ابن أبى كريمة :

والحق أن مجهود جابر فى تنظيم الدعوة الإباضية كان مجهودا بارزاً حتى توفى سنة ٩٦ هـ - ٧٢٥ م . وخلفه أحد تلامذته البارزين المعروف بأبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة الذى قيل عنه أنه ظل يتلقى العلم أربعين عاماً وبعدها نصب نفسه لتعليم العلم .

وقد سجن فى عهد الحجاج ، وأفرج عنه بعد موت الحجاج ليخلف جابر بحق ويتصدى لتنظيم الإباضية وتنظيم أسلوب الدعوة إلى المذهب الإباضى ويساعده فى ذلك كبار أعوانه من أمثال أبى نوح ، وأبى مودود حاجب ، والربيع بن حبيب .

ولقد كان ابن أبى كريمة صاحب عقل مرتب منظم مخطط للإباضية فدبر ونظم وجمع أموالاً كثيرة وتمكن من شراء الأسلحة والمعدات لتظهر فى الوقت المناسب لاستخدامها فى الاستعانة على ظهور المذهب الإباضى وقد استطاع أعوانه نشر المذهب الإباضى فى الأطراف فى اليمن وكذلك بين المغاربة (٢) بل استطاعوا إعلان إمامة الظهور سنة ١٤٠هـ - ٧٥٧م .

---

(١) الشماخى : السير ص ٩٣ .

(٢) بعث ابن أبى كريمة بداعيته سلمة بن سعيد فى بداية القرن الثانى الهجرى لنشر الدعوة الإباضية بين المغاربة واستطاع أن يكسب مؤيدين فى بلاد المغرب الأدنى فى إقليم طرابلس وجبل نفوسة . =

ويبدو أن حسن التنظيم وسرية العمل والقيادة الحكيمة لرجال المذهب الإباضى ساعد على انتشار المذهب سواء كان ذلك فى مرحلة إمامة جابر أو مرحلة إمامة ابن أبى كريمة .

ويجمل مهدى طالب الأسباب التى أدت إلى نجاح الدعوة الإباضية فى هذه المرحلة فيما يأتى : (١) .

أولا : نظرة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ودراسته المستوعبة مشكلات المناطق التى كانت مستاءة من الحكم الأموى ، وعلاقة هذه المناطق بالسلطة المركزية من حيث القوة والضعف ، فعندما أدرك أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة أن الدولة الأموية فى طريقها إلى الزوال أو عز إلى إباضية اليمن بالتعجيل بالثورة ولم يفكروا فى الثورة من البصرة رغم أنها المراكز الأم لتنظيمها لأسباب أوجهها قرب البصرة من مراكز الحكم القوية ، ووجود عدد من الأحزاب الأخرى .

ثانيا : القيادة الجماعية للدعوة . إذ توفرت مجموعة من المشايخ الإباضية كمجلس شورى ، من ذوى القدرات التنظيمية فى مساعدة ابن أبى كريمة ، كضمام بن السائب ، وأبو الحر بن الحصين ، وحاجب الذى كان مسئولا عن جميع النشاطات العسكرية . وقد قام بجمع المال والسلاح للثورة باليمن سنة ١٢٩ هـ إبان ضعف الدولة الأموية وقرب نهايتها .

ثالثا : المقدرة الفكرية التى تمتع بها الدعاة الإباضية ، وجذبهم لقلوب الناس لمذهبهم وقد كان ابن أبى كريمة عالما بليغا وفقيها بارزا .

كما كان سلفه جابر بن زيد من علماء الحديث ورجال الفقه الإسلامى الكبار .

رابعاً : الإخلاص والولاء المتناهى لهؤلاء القادة ، الذين أوقفوا حياتهم على الدعوة

= وبعد أن مات سلمة بن سعيد حل محله أبو عبد الله محمد بن أعبد الحميد بن مغيطر تلميذ ابن أبى كريمة بالبصرة وفى أيامه أصبح جبل نفوسة دار هجرة للمذهب الإباضى . وانتشر بعد ذلك انتشاراً سريعاً بين القبائل الأخرى مثل هوارة ولماية وزناته وسدارته وزواغة ولواته وفى مطماطة انتشر المذهب بها فى عهد الداعية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم .

(١) الحركة الإباضية ص ٩٣ : ص ٩٥ .

لمذهبهم دون أى دوافع أو رغبات اجتماعية أو مادية كقول الداعية سلمة بن سعيد أول داعية أباضى ببلاد المغرب "وددت أن يظهر هذا الأمر - يعنى مذهب الإباضية - بالمغرب يوما واحدا من غدوة إلى ليل ، فما أبالى ضربة عنقى" .

خامساً : صلابة الدعاة فى مرحلة الكتمان والتخفى على التنظيم السرى رغم تعرضهم لصنوف التعذيب ، وظهر هذا واضحاً من مواقف الدعاة الصلبة وعدم التصريح بوجود مثل هذا التنظيم مما يجعل السلطتين الأموية والعباسية لا تعير أدنى اهتمام سياسى أو عسكرى لهذه القوة المتناهية فى السر والخفاء .

وبهذا نستطيع أن نفسر نجاح الإباضية [١] وبقائها حتى اليوم بينما اختفت جميع الفرق الخارجية الأخرى .

أما بالنسبة للشروط التى توجب إظهار الإمامة الإباضية وقيامها فيقول الإمام الإباضى أو اسحاق ابراهيم بن قيس الحضرمى : "والذى يوجب الإمامة ثلاث خصال :

أحداها : "قوة أهل الدعوة ، وذلك أن يغلب على ظنهم أن يغلبوا أهل الباطل" .

والثانية : "أن يكون أهل الدعوة أربعين رجلاً ، أحراراً بالغين أصحاء ليس منهم أعمى فصاعداً" .

والثالثة : أن يكون فيهم ستة رجال فصاعدا أهل علم ، بأصول الدين والفقه من ذوى ورع وصلاح فى الدين ، فإذا اجتمعت لأهل الدعوة هذا الوصف وجب أن يعقدوا الإمامة لأفضلهم فى الدين والعلم الورع [٢] وقد أقر الفقهاء الإباضية وجود إمامين فى آن واحد [٣] وقد أوضح الإمام أبو اسحق الحضرمى المؤهلات الضرورية فى الإمام القائد الإباضى .

---

(١) نجحت الإباضية فى إقامة عدة دول كالدولة الإباضية فى عمان والدولة الرستمية فى تاهرت بالمغرب .

(٢) مختصر الخصال : مخطوط لأبى اسحق ورقة ٧٠ أ - ٧٠ ب .

(٣) وذلك مسايرة - للظروف والواقع الذى عاشته الإمامتان الإباضيتان المعاصرتان : الإمامة الرستمية فى "تاهرت" ١٦٠ هـ - ٢٩٦ هـ / ٧٧٦ - ٩٠٨ م فى المغرب والإمامة الإباضية بعمان ١٧٧ هـ - ٢٨٠ هـ / ٧٩٣ - ٨٩٣ م .

فقال [١] : "ولا تتم الإمامة لأحد إلا بوجود إحدى عشر خصلة :

أولها : أن يكون رجلا بالغا حراً عاقلاً .

الثانى : أن يكون ليس بأعمى ولا أصم .

الثالث : أن يكون ليس بأخرس .

الرابع : أن يكون فصيحاً بالعربية .

الخامس : أن يكون صحيحا ليس بزمن ، ولا مقطوع اليدين ولا الرجلين .

السادس : أن يكون من أهل العلم والورع فى الدين .

السابع : أن يعقد له من أهل الولاية ستة رجال أحرارا ، بالغين عاقلين ، من أفضل المسلمين فى العلم والورع فى الدين ، ليس فيهم أعمى فصاعدا .

الثامن : أن يكون أهلا لدعوة هؤلاء العلماء المسلمين بعقد الإمامة عليه .

التاسع : وأن لا يعقدوا لأحد قبله من المسلمين إلا أن يكون بينه بحر فإن لم يكن بينهما بحر كان الذى قبله داعية وليس بإمام .

العاشر : أن لا يعقدوا له ولغيره فى وقت واحد ولا يدرى أيهما من قبل وليس بينهما بحر ، فليس للواحد منهما إمامة ، ويرجع الأمر شورى بين المسلمين .

الحادى عشر : أن يكون ممن لم يقم عليه حد من قطع ولا جلد . والحق أن هذه الخصال والشروط لم تكن أصولا ثابتة فى اختيار الأئمة القادة عند الإباضية بل كثيرا ما تغيرت من وقت لآخر حسب الظروف السياسية والتطبيق العملى للمبادىء الإباضية كثيراً ما كان يحدث فيه تعديل ليتلاءم مع الظروف السياسية المختلفة وهذا سر من أسرار استمرارية الإباضية حتى وقتنا الحاضر .

---

(١) مختصر الخصال : ورقة ٧٠ ب .

ملحـــق

كتاب عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان ، أما بعد : سلام عليك ، فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأوصيك بتقوى الله ، فإن العاقبة للتقوى والمرد إلى الله وأعلم أنه إنما يتقبل الله من المتقين . وقد جاءنى كتابك مع سنان بن عاصم ، وأنك كتبت إلى أن أكتب إليك بكتاب فكتبته إليك ، فمنه ما تعرف ومنه ما تنكر ، ولكن الذى تنكره ليس عند الله بمنكر ، وأما ما ذكرت من عثمان والذى عرضت به من شأن الأمة فإن الله ليس ينكر عليه أحد شهادته فى كتابه الذى أنزل على نبيه محمد ﷺ ، ان "من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" (١) ، والفاسقون (٢) ، والكافرون" (٣) ثم أنى لم أكن أذكر لك من شأن عثمان شيئاً إلا والله تعلم أنه حق . وسأنزع لك من ذلك البينة من كتاب الله ، وسأخبرك خبر عثمان الذى طعنا عليه فيه ، وأبين شأنه وأمره . لقد كان عثمان كما ذكرت من قدمه فى الإسلام ولكن الله لم يجز العباد من الفتنة ، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ وأنزل عليه الكتاب وبين فيه كل أمر ، وفصل فيه كل حكم ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وجعله هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٤) . فأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما وحكم أحكاماً وفرض فرائض وحدودا . فقال : "تلك حدود الله فلا تقربوها" (٥) . وقال : تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون" (٦) . ثم أمر نبيه باتباع كتابه وقال : "واتبع ما أوحى إليك من ربك" (٧) . وقال : "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" (٨) . فعمل محمد ﷺ بأمر ربه ، ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه ، لا يرونه يتعمد أحداً ولا يبدل حكما ولا يستحل

---

(١) سورة المائدة ، آية ٤٥ .

(٢) نص الآية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) "سورة المائدة آية ٤٧" .

(٣) نص الآية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) "سورة المائدة آية ٤٤" .

(٤) نص الآية (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمه لقوم يؤمنون) "سورة الأعراف آية ٥٢" .

(٥) سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

(٧) سورة الأحزاب آية ٢ .

(٨) سورة القيامة آية ١٨ .

حراماً ولا يحرم حلالا ولا يبدل فريضة . وكان رسول الله ﷺ يقول : "إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم" (١) .

فعمر ﷺ ما شاء الله تابعاً لما جاء به من عند الله ، مبلغاً لما ائتمنه الله عليه ، معلما للمؤمنين ، مبصرا لهم حتى توفاه الله ﷺ . ثم أورث الله عز وجل المسلمين الذي جاء به محمد ﷺ وهو كتابه الذي يهتدي من اهتدى باتباعه ولا يضل من ضل إلا بتركه . ثما قام من بعده أبو بكر على الناس فأخذ كتاب الله وعمل بسنة نبيه فلم يفارقه أحد من المسلمين ولم يعيبوا عليه في حكم حكمه ولا قسم قسمه حتى فارق الدنيا وأهل الإسلام عنه راضون وله مجامعون . ثم قام من بعده عمر فكان قويا على الأمر ، شديدا على أهل النفاق ، يهتدي بمن كان قبله من المؤمنين ويعمل بكتاب الله . وابتلاه الله بفتوح من الدنيا بما لم يبل به صاحبيه ، وفارق الدنيا والدين ظاهر وكلمة الإسلام جامعة وشهادة المؤمنين له بالوفاء قائمة والمؤمنون شهداء الله في الأرض . قال الله عز وجل : "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً" (٢) . ثم استشار المؤمنين فتركها فيهم ، فولوا عثمان ففعل ما شاء الله بما يعرف الإسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الأرض ، وأحدث أموراً لم يعمل بها صاحباه قبله ، وعهد الناس يومئذ قريب . منهم . فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسُنّة من كان قبله ، فشق عليه أن ذكروه بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وآثار من كان قبله من المؤمنين ، "ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه "ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون" (٣) ، وأنا أبين لك يا عبد الملك بن مروان ما أنكر المسلمون على عثمان وفارقوه عليه ، عسى أن تكون غافلاً فأذكرك ، أو جاهلاً فأعرفك . فلا يحملنك هواء عثمان يا عبد الملك أن تكذب بآيات الله وتعرض عنها فإنه لا يغني عنك من الله شيء ، فالله الله يا عبد الملك قبل التناوش من مكان بعيد وقبل أن تكون لزاما وإنه كان ممن طعن عليه المسلمون وفارقوه وفارقناه عليه . قال الله عز وجل : "ومن أظلم ممن منع مساجد الله

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٣) سورة السجدة آية ٢٢ .

أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم" (١) ، وكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقض فيها كتاب الله ، ومما نقمنا عليه وفارقناه أن الله عز وجل قال : "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون ووجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين" فكان خيار هذه الأمة قد طردهم ونفاهم . فكان من نفى من أهل المدينة أبا ذر الغفارى ومسلم الجهنى ونافع بن الحطام ، ونفى من أهل الكوفة كعب وجندب بن زهير قاتل الساحر ، ونفى عمر بن زرارة ويزيد بن صحوان وأسود بن دويح ويزيد بن قيس الهمدانى وكردوس بن الحضرمى فى أناس كثير من أهل الكوفة . ونفى من أهل البصرة عامر بن عبد الله ومدعور العنبرى ومن لا يستطاع عدّهم من المؤمنين . وما نقمنا عليه أنه أمر أخاه الوليد بن عقبة على الناس فكان يلعب بالسحر ويصلى بالناس سكران ، فاسق فى دين الله وانما أمره من أجل قرابته ومما نقمنا عليه جعل المال دولة بين الأغنياء ، وقد قال الله عز وجل "كى لا يكون دولة بين الأغنياء" (٢) فبدل فيه كلام الله واتبع هواه ومما نقمنا عليه أنه منع واضع القطر وحماها لنفسه ولأهله ومنع الرزق الذى أنزل الله لعباده متاعاً لهم ولأنعامهم . وقد قال الله عز وجل "قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آالله أذن لكم أم على الله تفترون" (٣) . ومما نقمنا عليه أنه أول من تعدى فى الصدقات . وقد قال الله . "إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... إلى قوله فريضة من الله والله عليم حكيم" (٤) . وقال : "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا" (٥) والذى أحدث عثمان منعه فرائض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وأنقص أهل بدر من عطاياهم ألف ألف ، وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها فى سبيل الله ، وقال الله عز وجل "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى

---

(١) سورة الحشر آية ٧ .

(٢) سورة يونس ٥٩ .

(٣) نص الآية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ، سورة التوبة آية ٦٠ .

(٤) نص الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) سورة الأحزاب آية ٣٦ .

سبيل الله فبشره بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم" الآية [١] مما نقمنا عليه كان يضم كل ضالة إلى إبله ولا يردها ولا يعرفها ، وكان يأخذها من الإبل والغنم إذا وجدها عند أحد وإن كانوا قد أسلموا عليها ، وكان لهم فى حكم الله ما أسلموا عليه .وقد قال الله عز وجل : "ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين" [٢] . وقال : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم" [٣] ومما نقمنا عليه أنه أخذ خمس الله لنفسه وأعطى منه أقاربه وكان ذلك تبديلاً لحكم الله وفرض الله الخمس "لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... إلى قوله ... والله على كل شىء قدير" [٤] . ومما نقمنا عليه منع أهل البرحين وأهل عمان أن يبيعوا شيئاً من طعامهم حتى يباع طعام الإمارة وذلك تحريم لما أحل الله . "وأحل الله البيع وحرم الربا" [٥] . وكان من عمل عثمان أنه يحكم بغير ما أنزل الله وقد خالف سبيل الله وسبيل صاحبيه . وقال الله : "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً [٦] "وقال : "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون [٧] وقال : "ألا لعنة الله على الظالمين" [٨] . وقال : "ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً" [٩] . وقال : "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار" [١٠] وقال : "وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون" [١١] .

---

(١) سورة التوبة آية ٣٤ (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) .

(٢) سورة الأعراف آية ٨٥ .

(٣) سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم . ولا تقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيماً) آية ٢٩ .

(٤) نص الآية (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خُمُسَهُ وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله على كل شىء قدير) سورة الأنفال آية ٤١ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

(٦) سورة النساء آية ١١٥ .

(٧) سورة المائدة آية ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٧ .

(٨) سورة هود آية ١٨ .

(٩) سورة النساء آية ٥٢ .

(١٠) سورة هود آية ١١٣ .

(١١) سورة يونس آية ٣٣ .

وكل هذه الآيات تشهد على عثمان وإنما شهدنا عليه بما شهدت عليه الآيات . والله يشهد بما أنزل إليكم أنزله بعلمه والملائكة (هكذا) يشهدون وكفى بالله شهيداً [١] . فلما رأى المسلمون الذين أتى به عثمان من معصية الله المؤمنون شهداء الله فى الأرض ناظرون فى أعمال الناس وقال الله عز وجل : "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" [٢] وترك الخصومة الخصمين فى الحق والباطل : ووقع ما وعد الله من الفتن وقد قال الله عز وجل : "ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" [٣] . وعلم المسلمون أن طاعة عثمان على ذلك طاعة إبليس ، فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض ، واجتمعوا إليه ملأ من المهاجرين والأنصار وعامة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتوه فذكروه بالله وأخبروه بالذى أتى من معاصى الله ، فزعم أنه يعرف الذى يقولون وأنه يتوب إلى الله عز وجل منه ويراجع الحق فقبلوا الذى أتاهم به من الاعتراف بالذنب والتوبة إلى الله عز وجل ومراجعة الحق وكان حقا على أهل الإسلام إذا التقوا بالحق أن يقبلوه ويجامعوه ما استقام على الحق فلما تفرقوا عنه نكث الذى عاهدهم عليه وعاد إلى أعظم من الذى تاب منه . فكتب إلى عماله فى أدبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . فلما ظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهود رجعوا إليه وقتلوه بحكم الله وقد قال الله عز وجل : "وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون" [٤] وقد عمل بكتاب الله وجامع المسلمين زماناً ثم ارتد على عقبيه . وقد قال الله عز وجل "ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم" [٥] فهذا وأمثاله من خبر عثمان هو الذى فارقه عليه المؤمنون وفارقناه وطعنوا عليه فيه وطعنا نحن اليوم فيه . وذكرت

---

(١) نص الآية الكريمة (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً) سورة النساء آية ١٦٦ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٥ .

(٣) سورة العنكبوت آية ١ – ٣ .

(٤) سورة التوبة آية ١٢ .

(٥) سورة محمد آية ٢٥ .

كونه مع رسول الله ﷺ وخلته معه ، فقد كان على بن أبى طالب أقرب قرابة إلى رسول الله وأعظم خلة وأقدم هجرة وأسبق إسلاما وأنت تشهد له بذلك وأنا بعد ذلك ، فكيف كانت قرابته وخلته هل كانت نجاة إذا ترك الحق أم هلاكاً ؟ ، واعلم أن علامة كفر هذه الأمة إذا تركوا الحكم بما أنزل الله محكموا بغير ما أنزل الله "فمن أصدق من الله حكما لقوم يوقنون" (١) وقال : "فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون" (٢) ، فلا يغرنك يا عبد الملك بن مروان عز نفسك ولا تسند دينك إلى الرجال فإنهم يستدرجون من حيث لا يعلمون . فإن أملك الأعمال خواتمها وكتاب الله جديد أبدا لا ينطق إلا بالحق ، أجارنا الله باتباعه أن نبغى أو نضل ، فاعتصم بحبل الله يا عبد الملك واعتصم بالله يهديك إلى صراط مستقيم . قال الله عز وجل : "ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم" (٣) . وكتاب الله هو حبل الله المتين الذى أمر المؤمنين أن يعتصموا به فقال : "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" (٤) فأنشدك الله أن تتدبر معانى القرآن وتكون معتداً به مخاصماً به قال الله عز وجل : "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" (٥) .

وأما قولك فى معاوية أن الله أقام معاوية وعجل نصره وبلج حجته وأظهره على عدوه بالطلب لدم عثمان . فإن كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة فى الدنيا فإنا لا نعتبره من قبل ذلك ، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعلمون ، وظهر المشركون على المؤمنين ليبلى المؤمنين ويملى الكافرين وقال : "وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين" (٦) وانظر ما أصاب المؤمنين من المشركين يوم أحد ، وانظر كيف ظهر قتلة ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار وظهر على على أهل البصرة وهم شيعة عثمان ، وظهر المختار على زيد وأصحابه وهم شيعتهم ، وظهر مصعب على المختار ، وظهر أهل الشام على

---

(١) سورة المائدة آية ٥٠ .
(٢) سورة الجاثية آية ٦ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٠١ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٠٣ .
(٥) سورة محمد آية ٢٤ .
(٦) سورة آل عمران آية ١٤٠ – ١٤١ .

أهل المدينة وظهر الزبير على أهل الشام بمكة فلا تعتبر الدين من قبل الدولة ، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض . فقد أعطى الله فرعون ملكاً وظهر فى الأرض وأعطى الذى حاج إبراهم فى ربه ملكاً . ثم أن معاوية إنما اشترى الإمارة من الحسن بن على ، ولم يف له بما اشترطه عليه وعاهد الله العظيم ليوفين له . وقد قال الله عز وجل . "ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها" الآية [١] . ولا تسأل عن معاوية وعن صناعته غيرى لأنى قد أدركته ورأيت عمله وسيرته ، ولا أعلم من الناس أحداً أترك للقسمة التى قسمها الله ، ولا لحكم حكمه الله ، ولا أسفك لدم حرمه الله ، منه فلو يصب من البلاء إلا دم ابن سمية لكان فيه ما يكفره . ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا لعينا كافرا شاربا للخمر فيكفيه من الشر فلا يخفى عمل معاوية ويزيد على كل عاقل ، فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك فى معاوية . فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون فى معاوية ويزيد ويعيبون عليهما كثيرا فما (هكذا) يصنعون . فمن يتول عثمان ومن معه فإنى أشهد الله وملائكته أنى منهم برىء ، أعداء لهم بأيدينا والسنتنا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا ونحاسب بذلك عند الله . وكتبت إلى تعذرنى الغلو فى الدين . أعوذ بالله من الغلو . وسأبين لك ما الغلو فى الدين إذا جهلته . والغلو فى الدين أن يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتاب الله الذى بين ، وسنة نبيه التى سن . وقال الله : "يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق" [٢] وقال : "يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق" [٣] كما على عثمان ، والأئمة بعده ، وأنت بعد على سبيلهم وطاعتهم – تجامعهم على معصية الله وتتبعهم ، وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم عليها . وقال الله عز وجل "ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل" [٤] فهؤلاء أهل الغلو فى الدين فليس من غضب لله حين عصى ورضى بحكم الله ودعا إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه وسنة المؤمنين يعد بغال فى الدين . وكتبت إلى تعرض بالخوارج وتزعم انهم يغلون فى دين اللهو يتبعون غير سبيل المؤمنين ويفارقون أهل الإسلام . وأنا أبين لك سبيلهم . هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعة وفارقوه حين ترك حكم الله وهم أصحاب الزبير وطلحة حين نكثا

---

(١) سورة النحل آية ٩١ .

(٢) سورة النساء آية ١٧١ .

(٣) سورة المائدة آية ٧٧ .

(٤) سورة المائدة آية ٧٧ .

وأصحاب معاوية حين بغى وأصحاب على حين بدل كتاب الله وحكم عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فهم فارقوا هؤلاء كلهم وأبوا أن يفرقوا بحكم البشر دون حكم الله . فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة . كانوا يتولون فى دينهم وسنة نبى الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويدعون إلى سبيلهم ويرضون على ذلك كانوا يخرجون وإليه يدعون وعليه يفارقون . وقد علم من عرفهم وعرف حالهم أنهم كانوا أحسن عملاً وأشد قتالا فى سبيل الله . هذا خبر الخوارج شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم اعداؤنا ولمن أولاهم أولياءنا بالسنتنا وايدينا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا . إنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه . لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم .

وأنت كتبت إلى أن أكتب إليك بجواب كتابك واجتهد لك فى النصيحة وذكرتنى بالله وأفضل ما ذكرتنى به أن قلت : "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس فى الكتاب ، الآية [١] وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فقد بينت لك وأخبرتك خبر الأئمة ، وكان حقا على أن أنصح لك ، فإن الله لم يتخذنى عبدا لأكفر به ولا أن أخادع الناس بشىء ليس فى نفسى وأخالف إلى ما أنهى عنه أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لتحل (الحلال ؟) وتحرم الحرام . ولا تظلموا الناس شيئاً ، وأن يكون كتاب الله حكما بينى وبينكم فيما اختلفنا فيه ، وأن نتولى من تولي الله وأن نبرأ ممن تبرأ الله منه ، وأن نطيع من أمر الله بطاعته ، ونعصي من أمر الله بمعصيته فى كتابه فهذا الذى أدركنا عليه نبينا ﷺ وأن هذه الأمة لم تسفك دما إلا حين ترك كتاب الله وسنة نبيه وقد قال الله عز وجل : "وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب" [٢] والقرآن هو السبيل الواضح الذى هدى الله به من كان قبلنا محمد وأصحابه الخليفيتين الصالحين ولا يضل من اتبعه ولا يهتدى من تركه وقال : "وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" [٣] ، فاحذر أن تتفرق بك السبل وتتبع هواك ، فإن الناس إنما يتبعون فى الدنيا ، والآخرة إمامين : إمام هدى وإمام

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٩ .

(٢) سورة الشورى آية ١٠ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

ضلالة ، فإمام الهدى الذى يتبع كلام الله ويقسم بقسمة الله ويحكم بحكم الله وهو الذى قال عز وجل : "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا" [١] وهؤلاء هم الأئمة الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم .

وأما أئمة الضلالة فهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ويقسمون بغير قسمة الله ويتبعون أهواءهم بغير سنة من الله فهؤلاء الذين قال الله عز وجل فيهم : "وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون" [٢] ، وفيهم قال : "ولا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً" [٣] وقال : "ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه" [٤] وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . فماذا بعد الحق إلا الضلال . فلا تضربن عنك الذكر صفحاً ، ولا تشكن فى كتاب الله وقد كتبت إلى بمرجوع كتابك فأنشدك الله لما قرأته وأنت مشغول حتى تتفرغ له وتتدبر معانيه وتنظر فيه بعين البصيرة . واكتب إلى جواب كتابى إن استطعت وانزع إلى الشواهد من كتاب الله والبينة منه . فاصدق بذلك قولك ، ولا تعرض لى بالدنيا فإنه لا رغبة لى فى الدنيا ، وليست من حاجتى ، ولكن لتكون نصيحتك لى فى الدين ولما بعد الموت . فإن ذلك أفضل النصيحة . والله قدير أن يجمع بيننا على الطاعة فإنه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله . وبالله التوفيق وفيه الرضا .

والسلام عليك .

(البرادى ، الجواهر المنتقاه ، ص ١٥٦ – ١٦٧)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٣ .
(٢) سورة القصص آية ٤١ .
(٣) سورة الفرقان آية ٥٢ .
(٤) سورة الكهف آية ٢٨ .

أهم المراجع

- الإباضية : "معمر" : [على يحيى معمر الإباضى] المطبعة العربية .

- الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات فى القديم والجديد .

[معمر] : على يحيى معمر الإباضى - المطبعة العربية - غرداية الجزائر ١٩٨٧

- الأدلة المرضية فى دحض ما نُسِبَ إلى الإباضية [اليحمدى] : [بدر الدين هلال حمود اليحمدى الإباضى] طبعة مطابع النهضة بمسقط ١٩٨٨ .

- الأصول التاريخية للفرق الإباضية للدكتور عوض خليفات - نشر وزارة التراث والثقافة عمان ١٩٨٢ .

- أصدق المناهج فى تمييز الإباضية من الخوارج تأليف سالم بن حمود السيبانى تحقيق (سيدة إسماعيل الكاشف) - مطابع سجل العرب ١٩٧٩ - نشر وزارة التراث القومى والثقافة - عمان .

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى : «فخر الدين محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦ هـ» نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٣٨ بمراجعة الدكتور النشار .

- الإمامة والسياسة لابن قتيبة : [عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ] طبعة القاهرة .

- البداية والنهاية لابن كثير : [عماد الدين أبى» الفدا إسماعيل بن عمر المتوفى ٧٧٤ هـ] - طبعة بيروت ١٩٦٦ .

- البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها : للدكتور عزت على عيد عطية (رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٩٧٢) .

- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ت ٢٧٦ هـ بضبط وتصحيح محمد زهدى النجار - نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

- تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربى ١٩٨٠ .

- تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين للدكتور على مصطفى الغرابى طبعة المكتبة الحسينية بالقاهرة ١٩٤٨ .

- تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧١ .

- تاريخ المغرب الكبير جـ ٢ لديوز [على محمد ديوز الإباضى] مطبعة القاهرة ١٩٦٣

- التبصير فى الدين للإسفراييني : [أبو مظفر الإسفراييني ٤٧١ هـ] طبع مطبعة الأنوار- ١٩٤٠ ، وطبعة القاهرة ١٩٥٥ .

- تفسير القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ت ٦٧١ هـ) طبعة دار الكتب المصرية .

- تلبيس ابليس لابن الجوزى : [عبد الرحمن بن أبى الحسن على ابن محمد المتوفى ٥٩٧ هـ] طبعة أنصار السنة .

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى : [أبى الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى - الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ] طبعة المثنى ببغداد .

- الحركة الإباضية فى المشرق العربى لمهدى طالب هاشم طبعة القاهرة . ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

- الخوارج فى بلاد المغرب للدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق طبعة الدار البيضاء

- الخوارج الحروريون للدكتور أحمد حجازى السقا مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ .

- دراسات إسلامية فى الأصول الإباضية [أعوشت] (بكير بن سعيد أعوشت - الإباضى) الطبعة الأولى ١٩٨٢ مطبعة البعث قسنطينة الجزائر .

- السير للشماخى : [أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى ت ٩٢٨ هـ - القاهرة - طبع حجر] .

- سنن أبى داود [سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى المتوفى ٢٧٥ هـ - طبعة التجارية بمصر] .

- طبقات المشايخ بالمغرب لأبى العباس أحمد بن سعيد الدرجينى جـ ١ تحقيق ابراهيم طلاى طبعة مطبعة البعث قسنطينة الجزائر ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

- صحيح البخارى [الجامع المسند الصحيح] للبخارى : (أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل بن إبراهيم بن الأحنف يزدزبه البخارى ت ٢٥٦ هـ) طبعة الشعب .

- صحيح مسلم [الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ت ٢٦١ هـ طبعة الشعب .

- الصديق أبو بكر للدكتور محمد حسين هيكل طبعة دار المعارف بالقاهرة .

- طبقات طلقات المعهد الرياضى فى حلقات المذهب الإباضى طبعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م عمان .

- فجر الإسلام ٣ ج ١ للأستاذ أحمد أمين طبعة القاهرة ١٩٢٨ .

- الفرق بين الإباضية والخوارج لأبى اسحق إبراهيم أطفيش الإباضى .

- الفرق بين الفرق للبغدادى [عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى ت ٤٢٠ هـ] تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد رحمه الله نشر مكتبة صبيح .

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى الأندلى المتوفى ٤٥٦ هـ طبعة القاهرة ١٣١٧ وطبعة السلام العالمية .

- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد [أبو العباس محمد بن يزيد ت ٨٩٨ م] طبعة مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ .

- الكامل فى لتاريخ لابن الأثير [محمد بن محمد بن عبد الكريم بعد عبد الواحد الشيبانى المتوفى ٦٣٠ هـ] طبعة القاهرة ١٣٠٣ هـ .

- كتاب السير : السماخى [أحمد بن سعيد] طبعة حجرية القاهرة ١٨٨٤ .

- كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى [محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الزارى] طبعة حيدر أباد ١٣٥٧ هـ .

- مختصر كتاب الفرق بين الفرق للرّسعنى : [عبد الرازق ابن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرُّسْعنى] . طبعة مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤ .

- مختصر تاريخ الإباضية : أبو ربيع سليمان بن عبد الله البارونى ط ٣ مطابع العالمية روى سلطة عمان .

- المستدرك : للحاكم : [أبو عبد الله بن عبد الله بن محمد ابن حمدوية بن نعيم الضبى النيسابورى المتوفى ٤٠٥ ٥٣ ط الهند .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل [أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١ ٥٣] طبعة الحلبى بالقاهرة .

- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى طبعة إحياء التراث العربى بالقاهرة .

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعرى [أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ت ٣٣٠ ٥٣] طبعة النهضة المصرية ١٩٥٠ م بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

- الملل والنحل للشهرستانى [محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ ٥٣] طبعة القاهرة ١٩٥٦ وبهامش كتاب الفصل طبعة السلام العالمية .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى : [تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥] . طبعة بولاق ١٢٧٠ ٥٣ ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، وطبعة دار الندى بدمشق ١٩٩٠م .

- المنية والأمل لابن المرتضى : [محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى المعروف بابن الوزير ت ٥٣٨٤٠) طبعة حيدر أباد ١٣١٦ ٥٣ .

- الموطأ للإمام مالك : [الإمام مالك بن أنس المتوفى ١٧٩ ٥٣] طبعة الشعب .